سجدات القرآن
أحكام وتوجيهات

لفضيلة الدكتور/ فهد بن عبدالعزيز الفاضل [1]

المقدمة :

الحمد لله الذي حجّت الألباب بدائع حِكمه، وخصمت العقول لطائف حججه، وقطعت عُذر الملحدين عجائب صنعه، وهتفت في أسماع العالمين آياته وسننه، شاهدة أنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا عِدل له معادل، ولا مثل له مماثل، ولا شريك لـه مظاهر، وأنه الجبار الذي خضعت لجبروته الجبابرة، والعزيز الذي ذلت لعزته الملوك الأعزة، وأذعن لـه جميع الخلق بالطاعة طوعا وكرها. كما قال الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾** ﴾[2].

فكل موجود إلى وحدانيته داع، وكل محسوس إلى ربوبيته هاد [3].

---

(١) الأستاذ بكلية الملك عبدالعزيز الحربية .

(٢) سورة الرعد، الآية ١٥ .

(٣) انظر : مقدمة الإمام الطبري في تفسيره: جامع البيان عن تأويل القرآن ٣ ، ٤ .

ثـم الصـلاة والسـلام عـلى المبعوث رحمة للعالمين وحجة على الخلق أجمعين محمد بن عبد الله عليه من الله أزكى صلاة وأتم تسليم، وعـلى آلـه الطاهـرين وأصـحابه الميـامين ، وأتباعه الظاهرين إلى يوم الدين . أما بعد :

فقـد كـانت تراودني فكرة الكتابة في تأويل آيات السجدات في القرآن الكريم منذ زمن ، بعد بحثي في المكتبة القرآنية عمّن كتب فيهـا، فـلم أجد من المعاصرين أحدًا كتب في سجدات القرآن الكريم إلا ما رأيته لفضيلة الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله في كتابه: سجود التلاوة مواضعه وموضوعاته، وفضيلة الشيخ عبد العزيز السدحان من كتاب: التبيان في سجدات القرآن، فاستعنت بالله عز وجل في الكتابة حـول هـذا الموضـوع، فكان هذا البحث الذي أسأل الله عز وجل أن يـنفعني به وينفع إخواني المسلمين . وأن يجعله خالصا لوجهه العظيم إنه جواد كريم .

وتكمـن أهميـة دراسة آيات وأحكام سجدات القرآن الكريم فيما يلي :

أولا : حاجـة الـناس الـيوم الذي ضعف فيه العلم ، وقصرت همـم الـناس ، إلى مـثل هذا الموضوع الذي يتعلق بشعيرة من شعائر دينهم ألا وهو سجود التلاوة .

ثانيا : محاولة الوصول إلى السنة الصحيحة فيما يتعلق بسجود التلاوة .

ثالثا : ربط المسلم المطيع لربه بمعاني آيات السجود ليستحضرها عند تلاوة هذه الآيات.

رابعا : إثراء المكتبة القرآنية بموضوع مهم قل التصنيف فيه جدا بشكل مستقل .. خاصة وأن العلم الشرعي ظهر زهد الناس فيه نتيجة جهلهم به .

خامسا : حاجة الناس اليوم إلى استشعار معاني هذه الآيات من حين لآخر خاصة عند تلاوتها .

ومن خلال التتبع في فهارس الكتب والمخطوطات لم أجد – على بحثي القاصر – من أفرد هذا العلم بالتصنيف إلا ثلاثة وهم :

١– الإمام الحافظ أبو إسحاق إبراهيم الحربي، المتوفى سنة (٢٨٥هـ)[١] ، ألف كتابه سجود القرآن [٢]. ولا أعرف أحدا أشار إلى مكان وجوده .

٢– شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن

(١) انظر : ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢٧/٦ ، طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٨٦/١ . وسير أعلام النبلاء للذهبي ٣٥٦/١٣.

(٢) انظر : هداية العارفين لإسماعيل باشا ٤/٥ . وآثار الحنابلة للدكتور سعود الفنيسان ٣٢ . ومعجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور علي شواخ ٨٥/٤ .

تيمية ، المتوفى سنة (٧٢٨هـ)[1] ، ألف رسالة في سجود القرآن . وذكر الدكتور سعود الفنيسان أنه توجد مخطوطة في برلين برقم (٣٥٧٠هـ)[2] .

٣- الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله له كتاب مطبوع هو: سجود التلاوة مواضعه وموضوعاته. نشر دار التراث بالمدينة المنورة الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .

٤- الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان . له كتاب مطبوع متداول هو : التبيان في سجدات القرآن . وقد علق على بعضه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله . وقرأه فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن جبرين غفر الله له .

وقد اشتمل هذا البحث (**سجدات القرآن الكريم أحكام وتوجيهات**) على مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة .

وقد احتوت **المقدمة** على سبب اختياري لهذا الموضوع ، وأهميته ، والكتب المؤلفة فيه ، وخطة البحث . أما **التمهيد** فقد اشتمل على السجود عامة (معناه ، وصفته ، وفضله) .

---

(١) انظر : ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ١٨/٢٩٥ . وكتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٤/٣٨٧.

(٢) انظر : آثار الحنابلة في علوم القرآن ١٣٤ .

الفصل الأول: أحكام سجود التلاوة. وشمل أربعة مباحث، هي:

المبحث الأول : عدد سجدات القرآن الكريم ومواضعها .

المبحث الثاني : حُكم سجود التلاوة .

المبحث الثالث : صفة سجود التلاوة .

المبحث الرابع : أذكار سجود التلاوة .

الفصل الثاني : توجيهات آيات السجود ، وفيه خمسة عشر مبحثاً :

المبحث الأول : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ** ﴾[1].

المبحث الثاني : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا** ﴾[2].

المبحث الثالث : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ** ﴾[3] .

المبحث الرابع : التوجيه عند قوله تعالى: ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ۩ ١٠٩** ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦ .

(٢) سورة الرعد، الآية ١٥ .

(٣) سورة النحل، الآية ٤٩ .

(٤) سورة الإسراء، الآية ١٠٩ .

المبحث الخامس : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾[١] .

المبحث السادس : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٢] .

المبحث السابع : التوجيه عند قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ ﴾[٣] .

المبحث الثامن : التوجيه عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾[٤].

المبحث التاسع : التوجيه عند قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ﴾[٥].

المبحث العاشر : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا ﴾[٦].

المبحث الحادي عشر : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴾[٧].

---

(١) سورة مريم، الآية ٥٨ .

(٢) سورة الحج، الآية ١٨ .

(٣) سورة الحج، الآية ٧٧ .

(٤) سورة الفرقان، الآية ٦٠ .

(٥) سورة النمل، الآية ٢٥ .

(٦) سورة السجدة، الآية ١٥ .

(٧) سورة ص، الآية ٢٤ .

المبحث الثاني عشر : التوجيه عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ﴾[1] .

المبحث الثالث عشر : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾[2].

المبحث الرابع عشر : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾[3].

المبحث الخامس عشر : التوجيه عند قوله تعالى : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴾[4].

الخاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

وقد سلكت في هذا البحث الإيجاز غير المخل قدر وسعي، و لم أتطرق إلى كثير من التفاصيل التي لا طائل وراءها، واقتصرت في تخريج الأحاديث المذكورة في الصحيحين عليهما دون تتبعه في السنن والمسانيد مع محاولة ذكر من حكم على الحديث إذا كان في غيرهما .

---

(١) سورة فصلت، الآية ٣٧ .

(٢) سورة النجم، الآية ٦٢ .

(٣) سورة الانشقاق، الآية ٢١ .

(٤) سورة العلق، الآية ١٩ .

والله أسأل التوفيق والسداد لي ولكل من أعانني في بحثي هذا، وأن يغفر لي زللي وتقصيري، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، ويعلي راية الدين . إنه سميع مجيب . آمين .

أولا : معنى السجود :

السجود في اللغة : التذلل والخضوع والتطامن [١].

قال ابن فارس رحمه الله : السين والجيم والدال أصل واحد مطرد يدل على تطامن وذل . يقال سجد إذا تطامن . وكل ما ذل فقد سجد [٢].

وقال السمين الحلبي رحمه الله: وفرّق بعضهم بين سجد وأسجد، فسجد: وضع جبهته، وأسجد: أمال رأسه وطأطأها [٣].

والسجود في الشرع : التذلل لله عز وجل وعبادته بالصفة المعروفة بوضع الجبهة على الأرض .

والسجود عام فيمن يعقل وسجوده باختياره ، وفيمن لا يعقل وسجوده بالتسخير[٤]. والسجود ركن من أركان الصلاة في

(١) انظر : نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ٢٣٠/١، مفردات ألفاظ القرآن ٣٩٦، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ١٨٨/٣ ، لسان العرب ١٩٤٠/٣ .

(٢) معجم مقاييس اللغة ١٣٣/٣ .

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٢٧٥/١ .

(٤) انظر : نزهة الأعين ٢٣٠/١ ، ومفردات ألفاظ القرآن ٣٩٦ ، وبصائر ذوي التمييز ١٨٨/٣ .

الإسلام [1].

وقد عُرف السجود منذ أقدم العصور في تاريخ الأمم والأنبياء، فقبل نزول آدم عليه السلام إلى الأرض كان سجود الملائكة له، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ ﴾ [2].

ولخليل الرحمن إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - قال لهما الله عز وجل : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [3].

وفي قصة يوسف عليه السلام قال تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [4].

وفي قصة موسى عليه السلام مع السحرة قال الله عز وجل : ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [5].

وفي قصة سبأ قال الله عز وجل : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [6].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ٣٢٢/١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية [٣٤] . وانظر في تأويل سجود الملائكة لآدم ، المحرر الوجيز لابن عطية ١٧٧/١.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٥ .

(٤) سورة يوسف : الآية [١٠٠] . وانظر في تأويل هذا السجود ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣٥/٤ .

(٥) سورة الأعراف، الآيتان ١٢٠، ١٢١ .

(٦) سورة النمل، الآية ٢٤ .

وقال تعالى عمن أنعم عليهم من النبيين وممن هدى الله واجتبى ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾[١] .

وفي مريم عليها السلام قال الله عز وجل : ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[٢].

وفي يوم الجزاء والحساب يقول الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ولفظ السجود يراد به مطلق الخضوع والاستكانة... إلى أن قال : وأما أن يكون سجود الإنسان لا يراد به إلا خضوع ليس فيه سجود الوجه، فهذا لا يعرف [٤].

فالسجود لله جل جلاله من أعظم دلائل الإجلال، وتمريغ الوجه في التراب أقصى علامات التذلل لذي الجلال والسلطان . فهو أقصى درجات العبودية، وأجل مظاهر التذلل، وأصدق دلائل الإذعان، وأعذب مناظر الخشوع، وأفضل أثواب الافتقار .

---

(١) سورة مريم، الآية ٥٨ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤٣ .

(٣) سورة القلم، الآية ٤٢ .

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣/١٥٢ .

وهـو انطـراح للجـبار، وتذلـل للقهار، وتمريغ للأنف، وتعفير للوجه، وانطلاق من أسر الدنيا، وهروب من قيود الطاغوت، وتجرد مـن أوسمـة العظمـة، وتخـل عـن رتـب الفخامـة، وألقاب الزعامة... يسـجد الملك والمملـوك والغـني والفقـير، والسـيد والمسود، والرجل والمرأة، كلهـم سواء في فقرهـم إلى الكريم، وذلهم للعظيم .

سـبحان من لو سجدنا بالعيون له ... عـلى حمى الشوك والمحمي من الإبر

لم نبـلغ العُشـر مـن معشـار نعمته ... ولا العَشـير ولا عُشـرا مـن العشـر

هـو الـرفيع فـلا الأبصـار تدركـه ... سـبحانه مـن مليك نافذ القدر [1]

ثانيا : صفة السجود :

صفة السجود أن يسجد المسلم على سبعة أعضاء منه، وهي: الجبهة والأنف، واليدان، والركبتان، وأطراف القدمين [2].

لمـا ثـبت في صـحيح البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عـنهما قـال: قـال الـنبي صـلى الله عـليه وسلم: ((**أمرت أن أسجد عـلى سـبعة أعظـم**[3]**: عـلى الجـبهة – وأشـار بيـده عـلى أنفـه – واليدين، والركبتين، وأطراف القدمين**)) الحديث [4].

---

(١) انظر : الله أهل الثناء والمجد ، للزهراني ٤٢٠، ٤٢١ .

(٢) الجـبهة والأنـف عضـو واحـد ، واليدان عضوان ، والركبتان عضوان ، والقدمان عضوان ، فيكون المجموع سبعة أعضاء .

(٣) أعظم : جمع عظم ، وهي الأعضاء السبعة . انظر : فتح الباري ٢/٢٩٦ .

(٤) فتح الباري ٢/٢٩٧ .

قال ابن دقيق العيد رحمه الله : ظاهر الحديث يدل على وجوب السجود على هذه الأعضاء ، لأن الأمر للوجوب[(١)].

ويجب على المسلم أيضا أن يطمئن في سجوده، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فدخل رجل فصلى، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فرد النبي صلى الله عليه وسلم فقال : **ارجع فصل فإنك لم تصل (ثلاثا)** فقال : والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني . قال : **إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تطمئن قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها** » [(٢)] .

ورأى حذيفة رضي الله عنه رجلاً لا يتم الركوع والسجود قال : ما صليت، ولو مُتَّ مُتَّ على غير الفطرة التي فطر الله محمداً صلى الله عليه وسلم عليها [(٣)].

قال ابن حجر رحمه الله تعليقا على حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق : واستدل بهذا الحديث على وجوب الطمأنينة في

---

(١) العدة على إحكام الأحكام ٢/٣٠٦ .

(٢) أخرجه البخاري . انظر : فتح الباري ٢/٢٧٧ .

(٣) أخرجه البخاري . انظر : فتح الباري ٢/٢٧٤ .

أركان الصلاة، وبه قال الجمهور، واشتهر عند الحنفية أن الطمأنينة سنة وصرح بذلك كثير من مصنفيهم، لكن كلام الطحاوي كالصريح في الوجوب عندهم...[1].

ومن السنة في السجود الاعتدال فيه فلا يضع ذراعيه على الأرض، كما تفعل السباع، فقد أخرج البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((**اعتدلوا في السجود ، ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب**))[2] .

قال الترمذي رحمه الله: والعمل عليه عند أهل العلم، يختارون الاعتدال في السجود، ويكرهون الافتراش كافتراش السَّبُع [3].

قال ابن قدامة رحمه الله : وجملته أن من السنة أن يجافي عضديه عن جنبيه، وبطنه عن فخذيه إذا سجد؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك في سجوده...[4].

ثالثا : فضل السجود :

ورد من فضل السجود ما يلي :

١- أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد؛ لما روى

---

(١) فتح الباري ٢/٢٧٩ .

(٢) أخرجه البخاري . انظر : فتح الباري ٢/٣٠١ .

(٣) سنن الترمذي ٢/٦٦ .

(٤) المغني ٢/٢٠٠ . وللمزيد من سنن السجود انظر: المغني ٢/١٩٩-٢٠٧ . والمجموع ٤/٤٢١ -٤٣٥.

أبـو هـريـرة رضـي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**أقرب ما يكون العبـد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء**))[١].

٢- حـرّم الله عز وجل على النار أن تأكل آثار السجود ؛ لما روى أبـو هريـرة رضـي الله عـنه في حديث طويل وفيه : ((حتى إذا أراد الله رحمــة مـن أراد مــن أهـل النار، أمر الله الملائكة أن يخرجوا مـن كان يعـبد الله، فيخرجـونهم، ويعرفونهم بآثار السـجود، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السـجود . فيخرجون من النـار، فكل ابن آدم تأكله النـار إلا أثر السجود ...))[٢] .

٣- في السـجود لله رفعة الدرجات وحط الخطايا؛ لما أخرج مسـلم في صـحيحه عن ثوبـان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عـن رسـول الله صـلى الله عـليه وسـلم، وفيـه : ((**عـليك بكـثرة السـجود لله، فـإنك لا تسـجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**))[٣] .

٤- معـرفة الرسـول صـلى الله عليه وسلم لأهل السجود يوم القيامة مع كثرة الخلائق ؛ لما روى عبد الله بن بسر المازني رضي الله عـنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((**ما من أمتي من**

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٠ .
(٢) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه ١/٣٥٣ .
(٣) صحيح مسلم : كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ١/٣٥٠ .

أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة قالوا : وكيف تعرفهم يا رسول الله في كثرة الخلائق ؟ قال: **أرأيت لو دخلت صيرة**[1] **فيها خيل دهم**[2] **بهم**[3]، **وفيها فرس أغر**[4] **محجل**[5]، **أما تعرفه منها** ؟ قال: بلى. قال: **فإن أمتي يومئذ غر من السجود محجلون من الوضوء**))[6].

٥- في السجود طاعة للرحمن، وخيبة للشيطان؛ لما أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول : يا ويله . أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فليَ النار**))[7].

---

(١) الصِّيَرَة : حظيرة تتخذ للدواب من الحجارة وأغصان الشجر . انظر: النهاية ٦٦/٣.

(٢) دهم : الدُّهمة : السواد . والأدهم الأسود . يكون في الخيل والإبل وغيرهما . انظر : لسان العرب ١٤٤٣/٢ .

(٣) البهم : جمع بهيم، وهو الذي لا يخالط لونه لون سواه . انظر النهاية ١٦٧/١ .

(٤) الغرَّة : بياض في الجبهة، والأغر : الأبيض من كل شيء . انظر : ترتيب القاموس المحيط ٣٨٠/٣ .

(٥) المحجل من الخيل هو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد . انظر : النهاية ٣٤٦/١ .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، انظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل للبنا، ٢١٣/٢٣، ٢١٤، وصححه الألباني في صفة الصلاة ١٣١ .

(٧) صحيح مسلم : كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ٨٧/١ .

الفصل الأول: أحكام سجود التلاوة: وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : عدد سجدات القرآن الكريم ومواضعها .

سجدات القرآن الكريم هي الآيات التي يشرع فيها السجود لله عز وجل عند ختام الآية لتالي القرآن الكريم [(١)].

وللعلماء في عدد سجدات القرآن الكريم ومواضعها أقوال منها :

أولا : ذهب الإمام مالك في رواية ابن وهب عنه ، وأحمد في رواية عنه، وإسحاق ، والطبري رحمهم الله ، أن سجدات القرآن الكريم خمس عشرة سجدة هي :[(٢)]

١- قوله تعالى : **﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾** [(٣)].

٢- قوله تعالى : **﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾**[(٤)].

٣- قوله تعالى : **﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي**

---

(١) قال ابن قدامة : ويسن السجود للتالي والمستمع ، لا نعلم في هذا خلافا ... إلى أن قال : فأما السامع غير القاصد للسماع فلا يستحب له . المغني ٣٦٦/٢ .

(٢) انظر : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لابن عبد البر ١٣١/١٩ ، ١٣٢ . وأحكام القرآن لابن العربي ٨٢٩/٢ . والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٥٧/٧ ، والمغني لابن قدامة ٣٥٢/٢ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦ .

(٤) سورة الرعد، الآية ١٥ .

ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[1].

٤- قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾[2].

٥- قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾[3].

٦- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[4].

٧- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[5].

---

(١) سورة النحل، الآيتان ٤٩، ٥٠ .

(٢) سورة الإسراء، الآيات ١٠٧-١٠٩ .

(٣) سورة مريم، الآية ٥٨ .

(٤) سورة الحج، الآية ١٨ .

(٥) سورة الحج، الآية ٧٧ .

٨- قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾[(١)]

٩- قوله تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾[(٢)].

١٠- قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[(٣)].

١١- قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾[(٤)]

١٢- قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٦٠ .

(٢) سورة النمل، الآية ٢٥، قال ابن العربي : قال الشافعي : يسجد في النمل عند قوله : ﴿ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ عند تمام الآية التي فيها الأمر . وقال مالك وأبو حنيفة : يسجد عند قوله : ﴿ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الذي فيه تمام الكلام . وهو أقوى . أحكام القرآن ٨٣٢/٢ .

(٣) سورة السجدة، الآية ١٥ .

(٤) سورة ص، الآية ٢٤ .

يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ (٣٨) ﴾ [١].

١٣– قولـه تعالى : **﴿ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ ۩ (٦٢) ﴾** .[٢]

١٤– قوله تعالى: **﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ (٢١) ﴾**[٣].

١٥– قوله تعالى: **﴿ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ (١٩) ﴾**[٤].

ثانيا : ذهب الإمام أبو حنيفة، والثوري، والشافعي في المشهور عنه، وأحمد في المشهور من المذهب، وأبو ثور – رحمهم الله – إلى أن سجدات القرآن أربع عشرة سجدة . واختلفوا في تحديد بعضها: فذهب أبو حنيفة والثوري إلى عد ما سبق سوى السجدة الثانية من سورة الحج الآية (٧٧) .

وذهب الشافعي وأحمد إلى عد ما سبق سوى سجدة سورة ص الآية (٢٤). وذهب أبو ثور إلى عد ما سبق سوى سجدة سورة النجم الآية (٦٢) [٥].

ثالثا : ذهب الإمام مالك في رواية المذهب والشافعي في

---

(١) سورة فصلت، الآيتان ٣٧، ٣٨، سوف يمر عند الكلام على الآية اختلاف العلماء في موضع السجود فيها ، إن شاء الله تعالى .

(٢) سورة النجم، الآية ٦٢ .

(٣) سورة الانشقاق، الآية ٢١ .

(٤) سورة العلق، الآية ١٩ .

(٥) انظر : التمهيد ١٣٢/١٩ . وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني ١/ ١٩٣ . والمجموع شرح المهذب للنووي ٥٩/٤ . وشرح الزركشي على مختصر الخرقي للزركشي ٦٣٣/١، وحاشية ردّ المحتار لابن عابدين ١٠٣/٢ .

رواية – رحمهما الله – إلى أن سجدات القرآن إحدى عشرة سجدة ليس منها شيء من المفصل[(١)] ((النجم، والانشقاق، والعلق))، وكذلك السجدة الثانية من سورة الحج عند مالك، وسجدة سورة ص عند الشافعي [(٢)].

ووردت أقوال أخرى لكنها غير مشهورة فلا يعتد بها [(٣)].

ويتضح مما سبق أن العلماء – رحمهم الله – قد اتفقوا على الكثير من السجدات واختلفوا في بعضها، فمما اتفقوا عليه من السجدات ما يلي :

١– سجدة سورة الأعراف الآية (٢٠٦) .

٢– سجدة سورة الرعد الآية (١٥) .

٣– سجدة سورة النحل الآية (٤٩ ، ٥٠) .

٤– سجدة سورة الإسراء الآية (١٠٩) .

٥– سجدة سورة مريم الآية (٥٨) .

٦– السجدة الأولى من سورة الحج الآية (١٨) .

٧– سجدة سورة الفرقان الآية (٦٠) .

---

(١) وهو السبع الأخير من القرآن من سورة الحجرات إلى آخر القرآن ، وقيل : غيرها ، وسمي مفصلا لقصر أعداد سوره من الآي . انظر : مفردات القرآن ٦٣٨ ، لسان العرب ٣٤٢٤/٥ .

(٢) انظر : السنن الكبرى للبيهقي ٣١٢/٢ ، والتمهيد ١٣١/١٩. والمجموع ٦٠/٤. والجامع لأحكام القرآن ٣٥٧/٧ .

(٣) انظر : أحكام القرآن ٣٥٧/٧ ، ٦٣/١٠ ، وفتح الباري لابن حجر ٥٥١/٢ .

٨- سجدة سورة النمل الآية (٢٥) .

٩- سجدة سورة السجدة الآية (١٥) .

١٠- سجدة سورة فصلت الآية (٣٧ ، ٣٨) [١].

ومما اختلفوا فيه من السجدات ما يلي :

١- سجدة سورة الحج الآية (٧٧) .

٢- سجدة سورة ص الآية (٢٤) .

٣- سجدة سورة النجم الآية (٦٢) .

٤- سجدة سورة الانشقاق الآية (٢١) .

٥- سجدة سورة العلق الآية (١٩) .

والأقرب - والله أعلم - أن سجدات القرآن الكريم خمس عشرة سجدة؛ لما روى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن منها: ثلاث في المفصل، وفي سورة الحج سجدتان [٢]. وأما ما اختلف فيه

---

(١) انظر : شرح معاني الآثار للطحاوي ٣٥٩/١ ، والمحلى لابن حزم ١٠٦/٥ .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه : باب تفريع أبواب السجود ، وكم سجدة في القرآن . انظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢٧٨/٤ . وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب سجود القرآن. سنن ابن ماجه ٣٣٤/١ . والدار قطني في سننه ٤٠٨/١ . والحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢٢٣/١. والبيهقي في السنن الكبرى ٣١٤/٢. قال ابن حجر: حسنه المنذري والنووي، وضعفه عبد الحق، وابن القطان . تلخيص الحبير ١٠/٢ . وانظر : إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم وكلامه في ثبوت هذا الحديث ٤٠٦/٢ ، ٤٠٧ . وانظر الكلام على سند هذا الحديث في التبيان في سجدات القرآن للسدحان ٦٤ -٦٧ .

العلماء رحمهم الله تعالى من سجدات القرآن الكريم ، وما ورد من الأحاديث في مشروعيتها فهي كالتالي :

أولا : السجدة الثانية من سورة الحج الآية (٧٧) .

وقد أخرج الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت : يا رسول الله أفضلت سورة الحج عن سائر القرآن بسجدتين ؟ قال : ((**نعم . فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما**))[(١)][(٢)].

(١) قال الشيخ أحمد شاكر : ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالحديث ظاهر اللفظ، وأن من أتى على آية السجدة، ولم يرد السجود ترك الآية، وعن ذلك استدل به بعضهم على وجوب سجود التلاوة، وأجاب بعض القائلين بأنها سنة : بأن ترك تلاوتها لئلا يتضرر القارئ بترك سنة السجود . وهذا كله عندي غير جيد، بل هو خطأ؛ لأن هذا الكلام من كلام العرب لا يراد به ظاهره، إنما هو تفريع وزجر، كقوله صلى الله عليه وسلم : ((**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**))، وأمثال ذلك مما يعرفه من فقه كلام العرب ومناحيهم ، وإنما يريد صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث – أن يحض القارئ على السجود في الآيتين ، فكما أنه لا ينبغي له أن يترك قراءتها : لا ينبغي له إذا قرأها أن يدع السجود فيها . الجامع الصحيح ٤٧١/٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد ١٥١/٤ . وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب السجود٢/ ١٢٠ . والترمذي في سننه : أبواب الصلاة ، باب ما جاء في السجدة في الحج ٤٧٠/٢ . قال الترمذي بعد سياقه لهذا الحديث : هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي . وقال الشيخ أحمد شاكر معقبا على كلام الترمذي : بل هو حديث صحيح، فإن ابن لهيعة ومشرح بن هاعان ثقتان... الجامع الصحيح ٤٧١/٢ . وانظر : التبيان في سجدات القرآن٨٠-٨٣ ففيه كلام نفيس على سند هذا الحديث .

وأخرج أبو داود في المراسيل[1] عن خالد بن معدان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**فضلت سورة الحج على القرآن بسجدتين**))[2] .

قال البيهقي رحمه الله : وهذا المرسل إذا انضم إلى رواية ابن لهيعة صار قويا .[3]

وأخرج البيهقي بسنده عن عبد الله بن ثعلبة أنه صلى مع عمر رضي الله عنه الصبح فسجد في الحج سجدتين .[4]

وأخرج بسنده عن نافع قال: أخبرني رجل من أهل مصر أنه صلى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفجر بالجابية فقرأ السورة التي يذكر فيها الحج فسجد فيها سجدتين، قال نافع: فلما انصرف قال: إن هذه السورة فضلت بأن فيها سجدتين . وكان ابن عمر يسجد فيها سجدتين . وهذه الرواية عن عمر . وإن كانت عن نافع في معنى المرسل لترك نافع تسمية المصري الذي حدثه، فالرواية الأولى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير عن عمر رواية صحيحة

---

(١) المرسل من الحديث : رواية غير الصحابي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر: الباعث الحثيث ٤٤ .

(٢) المراسيل لأبي داود ١١٣ . وانظر : السنن الكبرى للبيهقي ٣١٧/٢ .

(٣) معرفة السنن والآثار ٢٤٧/٣ . قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : وهذا جيد – يعني كلام البيهقي –. انظر التبيان في سجدات القرآن ٨٣ ج .

(٤) السنن الكبرى ٣١٧/٢ .

موصولة، وكذلك رواية نافع عن ابن عمر موصولة [١].

وممن روى البيهقي سجوده من الصحابة في سورة الحج سجدتين: عمر، وابن عمر، وعلي بن أبي طالب، عبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر، وأبو موسى الأشعري، وأبو الدرداء، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين [٢].

قال ابن قدامة : ولأنه – أي السجود في سورة الحج سجدتان – قول من سمينا من الصحابة، و لم يعرف لهم مخالف في عصرهم فكان إجماعا .

قال أبو إسحاق [٣]: أدركت الناس منذ سبعين سنة يسجدون في الحج سجدتين [٤].[٥]

ثانيا : سجدة سورة ص الآية (٢٤) .

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

---

(١) السنن الكبرى ٣١٧/٢ . وانظر : كتاب الأم للإمام الشافعي ١٣٧/١ .

(٢) انظر : السنن الكبرى ٣١٧/٢ ، ٣١٨ . وانظر : مصنف عبد الرزاق ٣٤١/٣ . والأوسط في السنن والإجماع والاختلاف لابن المنذر ٢٦٥/٥ ، ٢٦٦ . ومصنف ابن أبي شيبة ١١/٢، ١٢ . والاستذكار لابن عبد البر ١٠١/٨ ، ١٠٣ .

(٣) أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي شيخ الكوفة وعالمها ومحدثها ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٩٢/٥ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عنه ٢/ ١٢ .

(٥) المغني ٣٥٦/٢ . وانظر : المحلى لابن حزم ٥ / ١٠٦ ، ١٠٧ .

((ص ليس من عزائم السجود [1]، وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها)) .[2]

وأخرج البخاري أيضا بسنده أن مجاهدا سأل ابن عباس رضي الله عنهما: من أين سجدت – أي في سورة ص – ؟ فقال : أو ما تقرأ: ﴿ **وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ** ﴾ [3]، فكان داود ممن أُمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به، فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم [4].

---

(١) عزائم السجود : ما وكّدت ، وعزم السجود فيها . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ٣/٢٣١ ، وفتح الباري ٢/٥٥٢ .

(٢) فتح الباري ٢/٥٥٢ .

(٣) الآيات هي من قوله تعالى في منة الله عزوجل على أبينا إبراهيم – عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة والتسليم - ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ** ﴾ سورة الأنعام .

(٤) فتح الباري ٨/٥٤٤. وانظر : في سجدة (ص) تفسير النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص، وقال: (سجدها داود عليه السلام توبة، ونسجدها شكرا) تفسير النسائي ٢/٢١٩. وانظر: سنن أبي داود كتاب الصلاة باب السجود في (ص) ٢/١٢٣. والسنن الكبرى ٢/٣١٨ .

قال ابن عبد البر رحمه الله : واختلفوا أيضا في السجود في سورة (ص) : فذهب مالك، والثوري، وأبو حنيفة إلى السجود فيها، وروي ذلك عن عمر، وعثمان، وابن عمر، وجماعة من التابعين، وبه قال أحمد وإسحاق وأبو ثور - واختلف في ذلك عن ابن عباس - .

وذهب الشافعي إلى أن لا سجود في (ص)، وهو قول ابن مسعود وعلقمة [١]. وقال ابن حزم : واختلف أفي (ص) سجدة أم لا ؟ وإنما قلنا بالسجود فيها لأنه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السجود فيها [٢].

ثالثا : السجود في سور المفصل[٣]، من القرآن الكريم وهي:

سورة النجم الآية: ٦٢ ، وسورة الانشقاق الآية: ٢١ ، وسورة العلق الآية: ١٩ .

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس)) [٤].

---

(١) التمهيد ١٩ /١٢٩ .

(٢) المحلى ٥/١٠٧ .

(٣) انظر هامش رقم ٢ ، ص٢٠ .

(٤) فتح الباري ٨/٦١٤ . وانظر : تعليل سجود غير المسلمين في فتح الباري ٨/ ٦١٤ .

وأخرج البخـاري أيضا بسنده عن عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه قـال: أول سـورة أنزلت فيها سـجدة ﴿ وَٱلنَّجۡمِ ﴾ . قال : ((فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه...)) [1].

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ لهم : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ ﴾[2] فسجد فيها . فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها [3].

وأخرج مسلم في صحيحه أيضا بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سجدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ و ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ .[4]

وأخرج أبو داود الطيالسي [5] بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سجد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ و ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ ومن هو خير منهما [6][7].

---

(١) المرجع السابق .

(٢) سورة الانشقاق، الآية ١ .

(٣) صحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب سجود التلاوة ٤٠٦/١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) هـو الحـافظ الكـبير سـليمان بـن داود الجارود ، فارسي الأصل ، وهو مولى لآل الـزبير بن العوام ، مات سنة أربع ومائتين للهجرة النبوية . انظر : تهذيب الكمال للمزي ٤٠١/١١ .

(٦) يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

(٧) مسـند أبـي داود الطيالسـي ٣٢٧ حديث ٢٤٩٩. وصحح إسناده الشيخ السدحان. انظر : التبيان في سجدات القرآن ١٤١ .

قال أبو عمر ابن عبد البر : احتج من أنكر السجود في المفصل بقول أبي سلمة [(١)] لأبي هريرة : لقد سجدت في سورة ما رأيت الناس يسجدون فيها [(٢)].

قالوا: فهذا دليل على أن السجود في ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ كان قد تركه الناس، وجرى العمل بتركه في المدينة، فلهذا ما كان اعتراض أبي سلمة لأبي هريرة في ذلك .

واحتج من رأى السجود في ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ في سائر المفصل ، بأن أبا هريرة رأى الحجة في السنة لا فيما خالفها ، ورأى أن من خالفها محاج بها ، وكذلك أبو سلمة لما أخبره أبو هريرة بما أخبره به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت لما لزمه من الحجة، ولم يقل له الحجة في عمل الناس، لا فيما تحكي أنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل علم أن الحجة فيما نزع به أبو هريرة، فسلم وسكت . وقد ثبت عن أبي بكر وعمر والخلفاء

---

(١) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري ، الحافظ ، أحد الأعلام بالمدينة ، قيل اسمه عبدالله وقيل : إسماعيل ، توفي سنة أربع وتسعين للهجرة . انظر : سير أعلام النبلاء ٤/٢٨٧ .

(٢) نص المحاورة بينهما كما أوردها ابن عبد البر بسنده عن أبي سلمة : أنه رأى أبا هريرة وهو يصلي، فسجد في: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ قال أبو سلمة حين انصرف : لقد سجدت في سورة ما رأيت الناس يسجدون فيها . قال : إني لو لم أرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها لم أسجد . التمهيد ١٩/١٢٤ ، ١٢٥ .

بعدهما السجود في ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾، فأي عمل يدعي في خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ؟![1]

المبحث الثاني : حُكم سجود التلاوة

اتفق العلماء رحمهم الله على مشروعية سجود التلاوة [2].

واختلفوا في حكمه على قولين هما :

القول الأول : ذهب جمهور العلماء منهم مالك والشافعي والليث وأحمد والأوزاعي وإسحاق وأبو ثور وداود الظاهري رحمهم الله إلى أن سجود التلاوة سنة وليس بواجب [3].

مستدلين على ذلك بما يلي :

١- أخرج البخاري بسنده عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وَٱلنَّجْمِ ﴾ فلم يسجد فيها [4].

٢- وأخرج البخاري بسنده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ يوم الجمعة على المنبر سورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها

---

(١) التمهيد ١٢٥/١٩ .

(٢) انظر : المجموع ٥٨/٤ ، والتبيان في سجدات القرآن ١٧ .

(٣) انظر : المحلى : ١٠٦/٥ ، والتمهيد ١٣٢،١٣٣/١٩ . والمغني ٣٦٤/٢ . والمجموع ٦١/٤ .

(٤) فتح الباري ٥٥٤/٢ .

حتى إذا جاء السجدة قال : يا أيها الناس، إنا نمر بالسجود ، فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه . ولم يسجد عمر رضي الله عنه . وزاد نافع عن عمر رضي الله عنهما : إن الله لم يفرض السجود إلا أن نشاء [١].

٣- إجماع الصحابة على سنية سجود التلاوة وأنه ليس بواجب.[٢] قال النووي - رحمه الله - : وهذا القول والفعل من عمر رضي الله عنه في هذا الموطن والمجمع العظيم دليل ظاهر في إجماعهم على أنه ليس بواجب؛ لأن الأصل عدم الوجوب حتى يثبت صحيح صريح في الأمر به، ولا معارض له، ولا قدرة لهم على ذلك...[٣].

القول الآخر: ذهب أبوحنيفة وأصحابه وابن تيمية رحمهم الله[٤] إلى وجوب سجود التلاوة، مستدلين بما يلي :

١- أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) فتح الباري ٥٥٧/٢ .

(٢) انظر : المغني ٣٦٥/٢ . والمجموع ٦١/٤ . وشرح الزركشي ٦٣٩/١ . وممن قال به من الصحابة : عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي وابن عباس وعمران بن الحصين وابن عمر رضي الله عنهم أجمعين .

(٣) المجموع ٦٢/٤ .

(٤) انظر : شرح معاني الآثار للطحاوي . وقد خالف مذهبه في هذه المسألة ١/ ٣٥٤ ، ٣٥٥ . وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ١٨٠/١ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٥٦/٢٣ . وحاشية رد المحتار لابن عابدين ١٠٣/٢ .

عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي . يقول : يا ويله، أُمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار**))[1].

٢- قال الكاساني رحمه الله: ولأن الله تعالى ذم أقواما بترك السجود فقال: ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾** ﴾[2]، وإنما يستحق الذم بترك الواجب .

ولأن مواضع السجود في القرآن منقسمة : منها ما هو أمر بالسجود وإلزام للوجوب ، كما في آخر سورة العلق[3]، ومنها ما هو إخبار عن استكبار الكفرة عن السجود فيجب علينا مخالفتهم بتحصيله ، ومنها ما هو إخبار عن خشوع المطيعين فيجب علينا متابعتهم....[4] .

والأقرب – والله أعلم – أن سجود التلاوة سنة وليس بواجب لما سبق من قوة أدلة جمهور العلماء رحمهم الله[5]، وأما ما استدل به من رأى الوجوب فيجاب عن دليلهم الأول وهو حديث أبي هريرة بأن السجود المذكور هو السجود الواجب الذي هو ركن من أركان

---

(١) صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ١/٨٧.

(٢) سورة الانشقاق، الآية ٢١ .

(٣) سورة العلق، الآية ١٩ .

(٤) بدائع الصنائع ١/١٨٠ .

(٥) انظر : الانتصار في المسائل الكبار للكلوذاني ٢/٣٨٠ - ٣٩٢ .

الصلاة [١]. وهذا ما فهمه الإمام مسلم في إيراده لهذا الحديث في باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة من صحيحه [٢].

وكأن الشيطان في سجود المسلم لربه حال التلاوة يتذكر موقفه عندما أُمر بالسجود لآدم فلم يسجد ، فهذه الصورة ، صورة امتثال المسلم لربه وخضوعه له في كل شيء ، وصورة عصيان الشيطان لربه وإعراضه عنه أحدثت للشيطان الكذوب[٣] الحزن والندم على ما كان منه .

أما ما استدل به من يرى الوجوب بأن الآيات جاءت بلفظ الأمر أو الخبر، فلا حجة لهم بذلك لأنه قد وقع الخلاف في التي بصيغة الأمر هل فيها سجود أو لا ، وهي ثانية الحج [٤]، وخاتمة النجم [٥]، وإقرأ [٦]، فلو كان سجود التلاوة واجبا لكان ما ورد بصيغة الأمر أولى أن يتفق على السجود فيه مما ورد بصيغة الخبر [٧].

قال ابن عبد البر : أي شيء أبين من هذا عن عمر وابن عمر

---

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٨٣١/٢ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٥٨/٧ .

(٢) انظر : صحيح مسلم ٨٧/١ .

(٣) ورد وصف الشيطان بالكذوب في صحيح البخاري . انظر: فتح الباري ٥٥/٩ .

(٤) الآية، ٧٧ .

(٥) الآية ٧٢ .

(٦) الآية ١٩ .

(٧) انظر : شرح معاني الآثار ٣٦٠/١ . فتح الباري ٥٥٨/٢ .

ولا مخالف لهما من الصحابة فيما علمت ، وليس قول من أوجبها بشيء، والفرائض لا تجب إلا بحجة لا معارض لها، وبالله التوفيق .

وقال الأثرم : سمعت أحمد بن حنبل يسأل عن الرجل يقرأ السجدة في الصلاة فلا يسجد ؟ فقال : جائز أن لا يسجد . وإن كنا نستحب أن يسجد فإن شاء سجد . واحتج بحديث عمر: ليس علينا إلا أن نشاء . قيل له : فإن هؤلاء يشددون - يعني أصحاب أبي حنيفة -، فنفض يده وأنكر ذلك [(١)].

المبحث الثالث : صفة سجود التلاوة

ويدخل في هذا المبحث الأمور التالية وهي :

أ - هل يشترط لسجود التلاوة الطهارة ؟

ب- هل يكبر عند السجود والرفع منه ؟

ج- هل يسلم من سجود التلاوة ؟

وسوف نبحث كل سؤال بشكل مختصر - إن شاء الله تعالى - .

أ- هل يشترط لسجود التلاوة - الطهارة ؟

ذهب جمهور العلماء رحمهم الله من الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة إلى أن سجود التلاوة تشترط له الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر[(٢)]. وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما،

(١) التمهيد ١٣٣/١٩ .

(٢) انظر : بدائع الصنائع ١٨٦/١ . والمغني ٣٥٨/٢ . والمجموع ٦٢/٤ . والجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٥٨ .

والـنخعي والـثوري وإسحاق بن راهويه[١]. وأخرج البيهقي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لا يسجد الرجل إلا وهو طاهر [٢].

وذهـب ابن حزم وابن تيمية وابن حجر وغيرهم - رحمهم الله - إلى عدم اشتراط الطهارة لسجود التلاوة [٣].

وروي ذلـك عـن ابـن عمـر رضـي الله عنهما [٤]، والشعبي، وأبي عبد الرحمن السلمي [٥].

والأقـرب – والله أعـلم – عـدم اشـتراط الطهـارة لسـجود التلاوة مع أن الأفضل السجود على طهارة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : وهذا السـجود – أي سـجود التلاوة – لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر لـه بالطهـارة ، بـل ثـبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سـورة الـنجم سـجد معـه المسـلمون والمشركون، والجن والإنس [٦].

---

(١) انظر : الأوسط ٥/٢٨٤ .

(٢) السنن الكبرى ٢/٣٢٥ . وصحح إسناده ابـن حجـر ، انظر : فتح الباري ٢/ ٥٥٤ ، وجمع ابـن حجـر مـا نقـل عـن ابـن عمـر رضـي الله عـنهما من اشتراط الوضوء وعدم الاشتراط في كتابه فتح الباري ٢/٥٥٤ .

(٣) انظر : المحلى ٥/١٠٦ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦/١٩٤ ، ١٩٥ . وفتح الباري ٢/٥٥٤ . والتبيان في سجدات القرآن ٣٦ .

(٤) انظر : فتح الباري ٢/٥٥٣ ، ٥٥٤ .

(٥) انظر : مصنف ابن أبي شيبة ٢/١٥،١٤ ، والأوسط لابن المنذر ٥/٢٨٤ .

(٦) مر هذا الحديث في سجدة سورة النجم .

وسجد سحرة فرعون على غير طهارة [1]، وثبت عن ابن عمر أنه سجد للتلاوة على غير وضوء ، ولم يرو عن أحد من الصحابة أنه أوجب فيه الطهارة [2].

وقال في موضع آخر : فلا تشترط لها شروط الصلاة ، بل تجوز على غير طهارة ، كما كان ابن عمر يسجد على غير طهارة ، لكن هي بشروط الصلاة أفضل ...[3] .

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله : الصواب أنه لا يشترط له الطهارة - أي في سجود التلاوة - ولا غيرها من شروط الصلاة كما قال ابن حزم [4].

ب- هل يكبر عند السجود ، والرفع منه ؟

ذهب الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة إلى أنه يشرع عند سجود التلاوة التكبير للسجود، والتكبير عند الرفع منه، في الصلاة وخارج الصلاة [5].

---

(١) كما في قوله تعالى: وألقي السحرة ساجدين سورة الأعراف: الآية ١٢٠ وغيرها.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦ / ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦٥/٢٣ .

(٤) التبيان في سجدات القرآن ٣٢. قال ابن حزم: وليس السجود فرضا لكنه فضل، ويسجد لها في الصلاة الفريضة والتطوع، وفي غير الصلاة في كل وقت، وعند طلوع الشمس وغروبها واستوائها، إلى القبلة وإلى غير القبلة، وعلى طهارة وعلى غير طهارة . المحلى ١٠٦/٥ .

(٥) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٨٣١ ، وبدائع الصنائع ١٩٢/١ ، والمغني ٣٥٩/٢ ، والمجموع ٦٢/٤ .

وعند الشافعية زيادة تكبيرة الإحرام خارج الصلاة قبل تكبيرة السجود [١].

واختلف عن الإمام مالك في التكبير خارج الصلاة [٢].

قال ابن قدامة رحمه الله : وبه قال ابن سيرين ، والحسن، وأبو قلابة، والنخعي، ومسلم بن يسار، وأبو عبد الرحمن السلمي ...[٣].

وظاهر كلام الخرقي الحنبلي رحمه الله أن تكبيرة السجود واحدة عند السجود خارج الصلاة [٤].

وقال ابن تيمية رحمه الله : والمروي فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم تكبيرة واحدة ، فإنه لم ينتقل من عبادة إلى عبادة [٥].

وذهب الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : إلى أن السجود للتلاوة في الصلاة يكبر فيه عند الخفض والرفع ، أما خارج الصلاة فتكبيرة واحدة للسجود [٦].

---

(١) انظر : المجموع ٤/٦٣ .

(٢) انظر : المدونة الكبرى ١/١١١ . والاستذكار لابن عبد البر ٨/١١٢ .

(٣) المغني : ٢/٣٥٩ .

(٤) انظر : المغني ٢/٣٦٠ . قال ابن قدامة : ولم يذكر الخرقي التكبير للرفع ، وقد ذكره غيره من أصحابنا ، وهو القياس ... . انظر : شرح الزركشي ١/٦٣٧ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣ /١٧٢ . وهو قول ابن القيم رحمه الله . انظر : زاد المعاد ١/٣٦٢ .

(٦) انظر : التبيان ٤٠ /٤١ .

مما سبق يتضح أن سجود التلاوة في الصلاة لا خلاف في التكبير فيه عند السجود والرفع منه ؛ لما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يصلي بهم فيكبر كلما خفض ورفع ، فإذا انصرف قال : إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

أما التكبير خارج الصلاة فورد فيه ما أخرجه أبو داود في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا القرآن فإذا مر بالسجدة كبّر وسجد وسجدنا معه » قال عبد الرزاق : كان الثوري يعجبه هذا الحديث . قال أبو داود: يعجبه لأنه كبر [2].

قال ابن حجر رحمه الله : رواه أبو داود بسند فيه لين [3].

وعلى هذا هل يكبر في سجود التلاوة حال السجود فقط دون الرفع منه أم يكبر للسجود والرفع ؟

الأمر في ذلك واسع والحمد لله .

---

(١) فتح الباري ٢/٢٦٩ .

(٢) باب تفريع أبواب السجود ، باب في الرجل يسمع السجدة وهو راكب أو في غير الصلاة . انظر : عون المعبود ٤/٢٨٨ .، وانظر : مصنف عبد الرزاق ٣/ ٣٤٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢/٣٢٥. وأصل الحديث في الصحيحين لكن بدون ذكر التكبير . انظر : فتح الباري ٢/٥٦٠ ، وصحيح مسلم ٢/٨٨ .

(٣) انظر : سبل السلام شرح بلوغ المرام ١/٢١٠ . وفصّل الشيخ الألباني في سند هذا الحديث وأثبت ضعفه كما في إرواء الغليل ٢/٢٢٤، ٢٢٥ .

قال ابن القاسم رحمه الله راوي المدونة الكبرى عن الإمام مالك رحمه الله لما ذكر اختلاف مالك في التكبير خارج الصلاة ، قال : وكل ذلك واسع [١].

ج- هل يسلم من سجود التلاوة ؟

ذهب الأحناف والمالكية والرواية الأخرى عند الشافعية والحنابلة إلى أنه لا يُسلم من سجود التلاوة [٢]. قال الإمام أحمد : أما التسليم فلا أدري ما هو [٣].وذهب الشافعية والحنابلة في رواية المذهب إلى السلام لسجود التلاوة [٤].

والأقرب – والله أعلم – أن سجود التلاوة لا تسليم له ؛ لأنه ليس صلاة فيشرع له ما يشرع في الصلاة ، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سلم في سجود التلاوة ، أما ما استدل به من قال بالسلام لسجود التلاوة من قوله صلى الله عليه وسلم: ((**تحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم**))[٥] فهذا في حق الصلاة المعروفة ، ولا

(١) المدونة الكبرى ١/١١١ .

(٢) انظر : التمهيد ١٩/١٣٤ ، وبدائع الصنائع ١/١٩٢ . والمجموع ٤/٦٥ . وشرح الزركشي ١/٦٣٧ . وذكر ابن العربي أن المالكية اختلفوا في التسليم من سجود التلاوة وهو يقول به . أحكام القرآن ٢/٨٣١ .

(٣) الأوسط ٥/٢٧٩ .

(٤) انظر : المغني ٢/٣٦٢ ، ٣٦٣ ، والمجموع ٤/٦٥ .

(٥) انظر : مسند الإمام أحمد ١/١٢٣ . وسنن أبي داود : كتاب الطهارة ، باب فرض الوضوء ١/٥٠،٤٩ . وسنن الترمذي : كتاب الطهارة ، باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور . انظر : صحيح الترمذي للألباني ١/٤ .

صلاة في سجود التلاوة [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : وسجود القرآن لا يشرع فيه تحريم ولا تحليل، هذا هو السنة المعروفة عن الأئمة المشهورين. وعلى هذا فليست صلاة، ولا تشترط لها شروط الصلاة [2].

المبحث الرابع : أذكار سجود التلاوة

ورد من أذكار السجود ما يلي :

١- سجد وجهي للذي خلقه ، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته؛ فتبارك الله أحسن الخالقين .

لما روت عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في سجود القرآن بالليل : ((**سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته**))[3] . قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح [4]. وزاد الحاكم: (فتبارك الله أحسن

---

(١) وذهب إلى أن سجود التلاوة لا تسليم فيه : إبراهيم النخعي وأبو صالح ويحيى بن وثاب والحسن البصري وسعيد بن جبير رحمهم الله . انظر : الأوسط ٥/٢٧٩ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣/١٦٥ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٣٠ ، وأبو داود في سننه : كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا سجد ٢/١٢٦ . والترمذي في سننه أبواب الصلاة باب ما يقول في سجود القرآن ٢/٤٧٤ . والنسائي في سننه : باب الدعاء في السجود ٢/٢٢٢ ، والدارقطني في سننه : في سجود القرآن ١/٤٠٦ . والبيهقي في السنن الكبرى : باب ما يقول في سجود التلاوة ٢/٣٢٥ .

(٤) سنن الترمذي ٢/٤٧٤ .

الخالقين) وصحح الحاكم هذا الحديث [١].

٢- اللهم اكتب لي بها أجرا ، وضع عني بها وزرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود .

لما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، إني رأيتني الليلة وأنا نائم، كأني أصلي خلف شجرة، فسجدتُ فسجدتِ الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول : « اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، وضع عني بها وزرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود » قال ابن عباس : فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة [٢].

---

(١) انظر : المستدرك على الصحيحين ١/٢٢٠ ، ووافقه الذهبي . وصحح ابن السكن هذا الحديث . انظر : تلخيص الحبير ٢/١٠ ، والألباني صححه . انظر : صحيح سنن الترمذي ١/١٨٠ .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه : أبواب الصلاة ، باب ما يقول في سجود القرآن ، وقال : هذا حديث حسن غريب ... . سنن الترمذي ٢/٤٧٣ ، ٤٧٤ . وابن ماجه في سننه : أبواب إقامة الصلاة ، باب سجود القرآن ١/١٨٨ . وابن خزيمة في صحيحه ١/٢٧٢ . وابن حبان في صحيحه ، انظر : الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٤/١٨٩ . والحاكم في المستدرك ١/٢١٩ ، ٢٢٠ . وقال : هذا حديث صحيح رواته مكيون لم يذكر واحد منهم بجرح . ووافقه الذهبي وصححه الشيخ أحمد شاكر . انظر : سنن الترمذي ٢/٤٧٤ ، وصححه محمد الأعظمي . انظر : صحيح ابن خزيمة ١/٢٨٢ . وحسنه الألباني . انظر : صحيح سنن الترمذي ١/١٨٠ . وحسنه السدحان في التبيان ٤٤ .

وورد عن بعض السلف رحمهم الله أدعية أخرى [1].

قال ابن قدامة : ومهما قال من ذلك ونحوه فحسن [2].

وقال النووي: وإن قال فيه ما يقول في سجود الصلاة جاز[3].

قلت : والأحرى بالمسلم أن يتقيد بما ورد وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه الخير وفضل الاتباع .

الفصل الثاني: توجيهات آيات السجود وفيه خمسة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: قال تعالى: **﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦) ﴾** [4].

صلة الآية بما قبلها : لما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالإكثار من ذكر الله عز وجل وهو خطاب لأمته من بعده صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى : **﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٢٠٥) ﴾** [5]. ذكر الله عز وجل أن له عبادا مستديمين لعبادته، مواظبين لذكره، ملازمين لخدمته وهم الملائكة، لتعلموا أن الله لا يريد أن يتكثر بعبادتكم من قلة، ولا ليتعزز بها من ذلة، وإنما يريد

---

(١) انظر : مصنف ابن أبي شيبة ٢/٢٠ ، ٢١ .

(٢) المغني ٢/٣٦٢ .

(٣) المجموع ٤/٦٤ .

(٤) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦ .

(٥) سورة الأعراف، الآية ٢٠٥ . وانظر أحكام القرآن لابن العربي ، ٢/٨٢٩ .

نفع أنفسكم [١].

وفيه أيضا أن الله عز وجل لما أمر بذكره ورغب فيه لبني آدم ذكر حال الملائكة ومن هم في الشرف والمكانة عند الله ومع ذلك لا يفترون عن عبادة ربهم وذكره ليتأسى بهم المسلم وهو المحتاج إلى رحمة ربه وعفوه [٢].

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ .

أجمع المفسرون أن المقصود بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ [٣] أنهم الملائكة [٤]. وعندية الملائكة عند ربهم عندية ارتفاع وعلو، ومن لوازمها القرب والمكانة[٥]، كما قال تعالى عن الشهداء :﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [٦] .

وأبان ابن القيم رحمه الله في نونيته هذه العندية أوضح بيان بقوله :

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لابن سعدي ، ٣/١٤٠ .

(٢) انظر التفسير الكبير للرازي ، ١٥/ ١١٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦ .

(٤) انظر الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٣٥٦.

(٥) انظر المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات ، للمغراوي ، ١/٤٠٠ .

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٦٩ .

هذا وعاشرها [1] اختصاص البعض من ... أمــلاكـه بالــعـنـد للــرحـمـن
وكـذا اختصـاص كـتاب رحمته بعنـ ... ـد الله فـوق العـرش ذو تـبيان
ولـو لم يكـن سـبحانه فـوق الـورى ... كـانوا جميعـا عـند ذي السلطان
ويكــون عــند الله إبــليس وجــبـ ... ـريل همـا في العـند مسـتويان
وتمــام ذاك القــول أن محــبة الــ ... ـرحمن غــير إرادة الأكــوان
وكلاهمــا محــبوبه ومــراده ... وكلاهمـا هــو عــنده ســيان
إن قلــتم عــندية الــتكوين فــالـ ... ـذاتــان عــند الله مخــلوقان
أو قلــتم عــندية الــتقريب تقــ ... ـريب الحبيب ومـا همـا عدلان
فــالحب عــندكم المشـيئة نفســها ... وكلاهمـا في حكمهـا مـثلان
لكــن مــنازعكم يقــول بأنهــا ... عــندية حقــا بــلا روغــان
جمعــت لــه حــب الإلــه وقــربه ... مــن ذاتــه وكــرامة الإحســان
والحــب وصــف وهــو غــير مشـيئة ... والعـند قـرب ظاهـر التـبيان [2]

ولا عجب أن تخضع الملائكة لربها وتسبحه لأنها عرفت عظمة ربها وجلاله عز وجل والقرآن الكريم يعرض بعضا من خضوع الملائكة لربها وتسبيحها لـه من مثل قوله تعالى : ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [3]، ﴿ وَلِلَّهِ

---

(١) أي عاشـر الأدلـة الـتي سـاقها ابن القيم في قصيدته النونية على إثبات علو الله عز وجل على عرشه فوق سبع سماواته .

(٢) القصيدة النونية للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ٦٣ .

(٣) سورة النساء، الآية ١٧٢ .

يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[١]، وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٣]، وقوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٤].

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[٥]، اشتمل على ثلاثة أعمال جليلة، أولها: عدم الاستكبار. وثانيها: تسبيح الله. وثالثها: السجود لله.

وهذه الأعمال تشترك في أدائها الأعضاء والجوارح . وغلب كل عمل منها بجارحة من الجوارح، فعدم الاستكبار الغالب عليها أنها عمل قلبي[٦]، وتسبيح الله عمل اللسان، والسجود لله عمل الأركان الظاهرة .

والكبر خلق ذميم وصفة مستكرهة لا يحبها الله من أحد،

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٩ .

(٢) سورة الزمر، الآية ٧٥ .

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان ٢٦، ٢٧ .

(٤) سورة التحريم، الآية ٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦ .

(٦) انظر إحياء علوم الدين ، للغزالي ، ٣/٣٤٣، ٣٤٤ .

وتوعد من اتصف بها بالنار ، وفي التنزيل الحكيم : ﴿ **إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ** ﴾[(1)]، وقال عز وجل : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[(2)]، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**))[(3)]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار**))[(4)].

والتواضع والإخبات لله صفة ملائكة الله الأطهار ورسله الكرام صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين : ﴿ **لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ** ﴾[(5)]، وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ** ﴾[(6)].

---

(١) سورة النحل، الآية ٢٣ .

(٢) سورة غافر، الآية ٦٠ .

(٣) صحيح مسلم ، باب تحريم الكبر وبيانه ، ٩٣/١ ، وسنن أبي داود كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ٣٥١/٤ . وسنن ابن ماجه كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر والتواضع . صحيح ابن خزيمة ٤٠٥/٢ .

(٤) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر ٣٥٠/٤ . وسنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع . صحيح ابن ماجه ٤٠٥/٢ .

(٥) سورة النساء، الآية ١٧٢ .

(٦) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦ .

والعمل الثاني الذي وصف الله به ملائكته الكرام في الآية التي نحن بصددها هو التسبيح . والتسبيح من ذكر الله وهو تنزيه الله تعالى عن كل ما لا ينبغي له أن يوصف به [١]. وهو أفضل الذكر وفي الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : أي الكلام أفضل ؟ قال : ((**ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده : سبحان الله وبحمده**))[٢] .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله** ؟ قلت : يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله . فقال : **إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده**))[٣].

وتسبيح الملائكة لله دائم لا ينقطع، لا في الليل ولا في النهار : ﴿ **يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠** ﴾[٤].

ولكثرة تسبيحهم فإنهم هم المسبحون في الحقيقة، وحق لهم أن يفخروا بذلك: ﴿ **وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ۝١٦٦** ﴾[٥][٦].

---

(١) انظر لسان العرب ، لابن منظور ٣/١٩١٤ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل سبحان الله وبحمده ٤/ ٢٠٩٣ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) سورة الأنبياء، الآية ٢٠ .

(٥) سورة الصافات، الآيتان ١٦٥، ١٦٦ .

(٦) انظر : عالم الملائكة الأبرار ، للدكتور / عمر الأشقر ، ص٣٥ .

بل التسبيح صفة كل شيء في هذا الكون الفسيح : ﴿ **وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾ [1].

وقال عز من قائل : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾** ﴾ [2].

والعمل الثالث الذي وصف الله به ملائكته الكرام : السجود لله عز وجل وأصل السجود : التطامن والتذلل [3]، وكل من ذل وخضع لما أُمر به فقد سجد ، ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض ، ولا خضوع أعظم منه . وفي الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون . إن السماء أطت** [4]، **وحق لها أن تئط ؛ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله**))[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٤ .

(٢) سورة النور، الآية ٤١ .

(٣) بصائر ذوي التمييز ، للفيروز أبادي ، ١٨٨/٣ .

(٤) الأطيط : صوت الأقتاب، وأطيط الإبل : أصواتها وحنينها، وأطيط السماء بالملائكة : هذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ، ٥٤/١ .

(٥) مسند الإمام أحمد، ١٧٣/٥، صحيح سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو تعلمون ما أعلم ، ٢٦٨/٢ . وصحيح سنن ابن ماجه، واللفظ له، كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، ٤٠٧/٢ .

وحق لملائكة الرحمن أن تخضع وتذل وتخشع لربها ، وهي من عرفت عظمة الرب عز وجل جلاله . ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾[(١)].

والحكمة من السجود هنا - والله أعلم – أن الآية أخبرت عن حال من أحوال الملائكة في تعظيم الله عز وجل، وهو السجود له، وفي سجود النبي صلى الله عليه وسلم عند هذه الآية حض للمؤمنين على التخلق بأخلاق الملائكة ومنه السجود لله جل جلاله[(٢)].

المبحث الثاني : قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[(٣)].

مناسبة الآية لما قبلها: في الوقت الذي يتخذ الكافرون آلهة من دون الله، يتوجهون إليهم بالرجاء والدعاء كما قال تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾[(٤)]. إذ كل من في الكون خاضعون لله ، وكلهم محكومون بإرادته، مسيرون وفق مشيئته، المؤمن منهم يخضع طاعة

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦ .

(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور ، ٢٤٤/٩ . وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق بن حسن ، ١٢٤/٥ .

(٣) سورة الرعد، الآية ١٥ .

(٤) سورة الرعد، الآية ١٤ .

وإيمانا ، وغير المؤمن يخضع أخذا وإرغاما ، فما يملك أحد أن يخرج عن إرادة الله ، ولا أن يخالف مشيئته (1).

وللمفسرين في معنى السجود في قوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ﴾ قولان :

الأول : السجود حقيقة، وهو وضع الجبهة على الأرض، وعلى هذا القول يكون المعنى :

أ - أن المؤمن يسجد طوعا ، وبعض الكفار يسجدون إكراها وخوفا كالمنافقين .

ب- وقيل: الآية في المؤمنين، منهم من يسجد طوعا لا يثقل عليه السجود، ومنهم من يثقل عليه؛ لأن التزام التكليف مشقة، ولكنهم يتحملون المشقة إخلاصا وإيمانا .

الثاني : أن السجود بمعنى الخضوع والانقياد . وعلى هذا يكون المعنى :

أن المؤمن يسجد ببدنه طوعا، ويسجد خضوعا وانقيادا وطاعة لسنن الله وإرادته الكونية، والكافر يسجد إرغاما وكرها خضوعا لسنن الله وإرادته الكونية، حيث إنه كافر لا يؤمن بالله العظيم (2). وهذا المعنى هو الأقرب . والله أعلم (3).

---

(1) انظر : في ظلال القرآن ، لسيد قطب ٢٠٥٢/٤ .

(2) انظر: التفسير الكبير للرازي ٣٠/١٩، ٢٩، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٠٢/٩.

(3) انظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ٣٠٢/٩ .

وفي قوله تعالى : ﴿ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ .

من الملائكة والثقلين كما يقتضيه ظاهر التعبير بمن التي تختص بالعقلاء، وتخصيص انقياد العقلاء مع كون غيرهم أيضا كذلك ، لأنهم العمدة ، وانقيادهم دليل على انقياد غيرهم ، والتعبير بمن للتغليب [١].

﴿ وَظِلَٰلُهُم ﴾ أي وتسجد ظلالهم ، جمع ظل ، وهو ما ستره الشيء عن شعاع الشمس ، يقصر مرة ويمتد أخرى [٢].

وسجود الظلال له معنيان :

الأول : السجود حقيقة ، بمعنى الميلان والانحناء [٣] كما في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [٤] قال مجاهد : ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع ، وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره.[٥] قال ابن الأنباري : يجعل للظلال عقول تسجد بها وتخشع بها ، كما جعل للجبال أفهام حتى خاطبت وخوطبت [٦].

---

(١) انظر : روح المعاني للألوسي ١٣/١٢٦ .

(٢) انظر : غرائب التفسير للكرماني ١/٥٦٥.

(٣) انظر : معاني القرآن للفراء ٢/٦١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٣٠٢ .

(٤) سورة النحل، الآية ٤٨ .

(٥) تفسير الطبري ١٦/٤٠٤ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٩/٣٠٢ . وفتح القدير للشوكاني ٣/٧٣.

الثاني : سجود الانقياد والخضوع لمشيئة الله وسننه ونوامسه الكونية.[1] وكلا المعنيين صحيح .

والغدو : أول النهار [2]. والآصال : جمع أُصُل ، والأصيل : هو العشي ، وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس [3].

والحكمة من السجود هنا – والله أعلم – أن يضع المسلم نفسه مع من يسجد لله طوعا باختياره بإيقاع السجود لله تعالى ، وهو اعتراف بالفعل بعبودية الله عز وجل [4].

المبحث الثالث : قال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾** ﴾ [5].

صلة الآيات لما قبلها : لما ذكر الله عز وجل حال الذين مكروا السيئات [6]، في صد ودهم عن ربهم وإعراضهم عنه وعدم

---

(١) انظر : الكشاف للزمخشري ٢/٢٨٤ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ٦٠٣ .

(٣) تفسير الطبري ١٦/٤٠٥ .

(٤) انظر : تفسير التحرير والتنوير ١٣/١١٣ .

(٥) سورة النحل، الآيات ٤٨-٥٠ .

(٦) كما في قوله تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾** ﴾ سورة النحل .

طاعتهم لـه مع قدرته عليهم، لكنه أمهلهم رحمة بهم، ذكر عز وجل حـال الجمادات والدواب في عبادتها لربها وحال الملائكة في خوفهم من ربهم وطاعتهم له وشتان بين الحالين [١].

قرأ حمزة والكسائي وخلف:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ بالتاء، على أنه خطاب لجميع الناس. وقرأ عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ بالياء، على الخبر عن الذين مكروا السيئات [٢].

وفي الآيـة لفـت الأنظـار إلى مـا خلق الله من كل شيء، يتفيأ ظلالـه، أي تـرجع وتـتمايل[٣] ظلالـه مـن حـال إلى حـال، فهو أول الـنهار عـلى حـال ، ثـم يتقـلـص ، ويعـود إلى حال أخرى في آخر النهار[٤]. وهـذه الظـلال تتمايل عن اليمين والشمال، قال قتادة : أما الـيمين: فـأول النهار. وأما الشمال: فآخر النهار[٥]. وقيل عن اليمين والشـمائل: أن جهـات الـيمين وجهـات الشمائل مقصود به إيضاح الحالـة العجيـبة لـلظل إذ يكـون عـن يمـين الشــخص مرة وعن شماله

(١) انظر : تفسير الطبري ١١٤/١٤ ، ونظم الدرر للبقاعي ١٧٢/١١ .

(٢) انظـر : تفسـير الطبري ١١٤/٤ ، ورجح القراءة بالياء ، والجامع لأحكام القرآن ١١١/١٠.

(٣) وقـد فسـر ابـن عباس رضي الله عنه التفيؤ بالتميل . انظر : فتح الباري ، كتاب التفسـير، سـورة النحل ٣٨٥/٨،٣٨٤ ، وتفسير ابن عباس ومروياته في التفسير، للحميدي ٥٣٠/٢ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١١٤/٤ ، ومفردات ألفاظ القرآن ٦٥٠ .

(٥) تفسير الطبري ١١٥/٤ .

أخرى، أي إذا استقبل جهة ما ثم استدبرها، وليس المراد خصوص اليمين والشمال، بل كذلك الأمام والخلف، فاختصر الكلام .[١]

وإفراد اليمين وجمع الشمال تفنن في الكلام[٢]، وكانت العرب إذا ذكرت صيغتي جمع عبرت عن إحداهما بلفظ الواحد كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[٣] وقوله:﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ ﴾[٤]. ويمكن أن يقال وحد اليمين والمراد الجمع ولكنه اقتصر على الواحد كقوله تعالى: ﴿ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾[٥][٦].

وفي قوله تعالى : ﴿ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴾[٧]، قد مر في الآية التي قبلها سجود الظلال وكيف هو[٨]، والدخور : الصغار والذل ، يقال : أدخرته فدخر، أي أذللته فذل [٩].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١٦٩/١٤ . وانظر: غرائب التفسير للكرماني ٦٠٦/١ .

(٢) انظر : تفسير التحرير والتنوير ١٦٩/١٤ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ١ .

(٤) سورة البقرة، الآية ٧ .

(٥) سورة القمر، الآية ٤٥ .

(٦) انظر : التفسير الكبير للرازي ٤٢/٢٠، ٤١ .

(٧) سورة النحل، الآية ٤٨ .

(٨) عند قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعًا وَكَرۡهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ ، سورة الرعد .

(٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١١١/١٠ ، ومفردات ألفاظ القرآن ٣٠٩ .

وقوله تعالى :﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

الدابة: اسم لما دبّ ومشى على الأرض[2]. كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[3]، قال الراغب الأصفهاني: والأولى إجراؤها على العموم[4]. وسجود الملائكة مر معنا في سورة الأعراف عند الآية [٢٠٦] .

قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾[5] خوف إجلال وكبرياء لله عز وجل، وكلما كانت معرفة الله تعالى أتم، كان الخوف منه أعظم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[6]

وفي الحديث : (**أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له**)[7] وهذا من كمال معرفته صلى الله عليه وسلم بربه عز وجل .

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٩ .

(٢) انظر : لسان العرب ١٣١٢/٢ ، مادة دبب .

(٣) سورة فاطر، الآية ٤٥ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٣٠٦ ، وانظر : الكشاف للزمخشري ٣٣١/٢ .

(٥) سورة النحل، الآية ٥٠ .

(٦) سورة فاطر، الآية ٢٨ . والخشية : خوف يشوبه تعظيم . انظر : مفردات ألفاظ القرآن ٢٨٣ .

(٧) فتح الباري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ١٠٤/٩ ، ومسلم ، كتاب الصيام ، الحديث ٧٤ ، ٧٧٩/٢ .

وفي سنن الدارمي أن موسى عليه السلام قال : يا رب أي عبادك أخشى لك ؟ قال : أعلمهم بي [1].

وفي قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾، إثبات لصفة العلو لله عز وجل .

كقوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[2] الآية .

وقوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ۝ ﴾[3] الآية .

قال ابن خزيمة رحمه الله: باب ذكر سنن النبي صلى الله عليه وسلم المثبتة أن الله جل وعلا فوق كل شيء، وأنه في السماء، كما أعلمنا في وحيه، وعلى لسان نبيه، إذ لا تكون سنته أبدا المنقولة عنه بنقل العدل عن العدل موصولا إليه إلا موافقة لكتاب الله لا مخالفة له [4].

قوله : ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ وهذا من كمال طاعة ملائكة الله الكرام لربها عز وجل .

والحكمة من السجود هنا – والله أعلم – أن المؤمن يسجد

---

(١) سنن الدارمي ، المقدمة ، باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله ١٠٢/١ .

(٢) سورة المعارج، الآيتان ٣، ٤ .

(٣) سورة الملك، الآية ١٦ .

(٤) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ٢٦٥/١ . وانظر : تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ١١٤/٦ .

عند هذه الآية تأسيا بملائكة الله الكرام ، ومشابهة لمن يسجد لله عزوجل في هذا الكون الفسيح اعترافا بأحقيته وقهره عز وجل [(١)].

المبحث الرابع : قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [(٢)].

صلة الآية بما قبلها : يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المعاندين المكذبين من كفار مكة ممن طلبوا الآيات والمعجزات [(٣)] حتى يؤمنوا وهم يرون هذا الكتاب الحق وما فيه من الحق الذي لا يمارون فيه، قل لهم على سبيل التهديد والوعيد والاستغناء عنهم وعن إيمانهم ﴿ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ ﴾ فإن الذين أوتوا العلم بالله وآياته من قبل نزوله من مؤمني أهل الكتابين، إذا يتلى عليهم هذا القرآن يخرون تعظيما له وتكريما [(٤)].

والهاء في قوله:﴿ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ يعود إلى القرآن [(٥)]، والذين

---

(١) انظر : تفسير التحرير والتنوير ١٤/١٧١ .

(٢) سورة الإسراء، الآيات ١٠٧-١٠٩ .

(٣) سورة الإسراء، الآيات ٩٠-٩٣ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٥/١٨٠ ، وفتح القدير ٣/٢٦٤ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٥/١٨٠ ، وذكر رحمه الله عن ابن زيد أن الهاء تعود على النبي صلى الله عليه وسلم ، ورجح كونها عائدة على القرآن .

أوتوا العلم من قبل نزول القرآن هم مؤمنوا أهل الكتاب ممن آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم(١) من مثل ورقة بن نوفل(٢)، عبد الله ابن سلام (٣)، وسلمان الفارسي (٤)... وغيرهم .

ووصف الله عز وجل حال المؤمنين بالقرآن الكريم من مؤمني أهل الكتاب وسرعة استجابتهم وتأثرهم بالقرآن بقوله: ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ والخرير: سقوط يسمع منه صوت(٥). قال ابن الجوزي : اللام ها هنا بمعنى (على) . قال ابن عباس : قوله : ﴿ لِلْأَذْقَانِ ﴾ أي للوجوه (٦) . قال الزجاج : الذي يخر وهو قائم . إنما يخر

(١) انظر : تفسير الطبري ١٨٠/١٥ ، وزاد المسير ٩٧/٥ ، وذكر ابن الجوزي ثلاثة أقوال في ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ ﴾ ، أحدها : أنهم ناس من أهل الكتاب، والثاني : أنهم الأنبياء عليهم السلام . والثالث : طلاب الدين، كأبي ذر وغيره .

(٢) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، ابن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكره غير واحد في الصحابة، وكان تنصر في الجاهلية ، وفي الحديث فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ... انظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير ٨٨/٥ ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٦٣٣/٣ .

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث ، أبو الحارث الإسرائيلي ، حليف الأنصار ، من خواص النبي صلى الله عليه وسلم ، المشهود له بالجنة ، توفي سنة ثلاث وأربعين للهجرة . انظر : طبقات ابن سعد ٣٥٢/٢ ، وسير أعلام النبلاء ٤١٣/٢ .

(٤) سلمان الفارسي، أبو عبد الله، سابق الفرس إلى الإسلام، لتنصره قصة طويلة ... توفي سنة ثلاث وثلاثين بالمدائن . انظر : التاريخ الكبير للبخاري ١٣٥/٤، وسير أعلام النبلاء ٥٠٥/١ .

(٥) انظر : مفردات ألفاظ القرآن ٢٧٧ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ١٨٠/١٥ ، والدر المنثور للسيوطي ٣٤٦/٥ .

لوجهه، والذقن : مجتمع اللحيين، وهو عضو من أعضاء الوجه، فإذا ابتدأ يخر ، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذقن . وقال ابن الأنباري : أول ما يلقى الأرض من الذي يخر قبل أن يصوب جبهته ذقنه، فلذلك قال : ﴿ لِلْأَذْقَانِ ﴾ . ويجوز أن يكون المعنى : يخرون للوجوه، فاكتفى بالذقن من الوجه كما يكتفى بالبعض من الكل، وبالنوع من الجنس . أ.هـ [(١)].

ويقولون في هذا السجود: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ وفيه تنزيه لله عز وجل وتعظيم له [(٢)]، وفي قوله ﴿ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ أي بإنزال القرآن وبعث محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدل على أن هؤلاء كانوا من أهل الكتاب؛ لأن الوعد ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم سبق في كتابهم فهم كانوا ينتظرون إنجاز ذلك الوعد [(٣)].

وعطفت ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ ﴾ على ﴿ وَيَخِرُّونَ ﴾ للإشارة إلى أنهم يجمعون بين الفعل الدال على الخضوع، والقول الدال على التنزيه والتعظيم [(٤)].

---

(١) زاد المسير ٥/٩٧، ٩٨ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٢١/٦٩ ، وفتح القدير ٣/٢٦٤ .

(٣) انظر : التفسير الكبير ٢١/٦٩ ، وزاد المسير ٥/٩٨ ، وذكر ابن جرير الطبري أن الوعد المفعول ، ما كان من ثواب وعقاب ، إلا مفعولا حقا يقينا ، إيمانا بالقرآن وتصديقا به . تفسير الطبري ١٥/١٨٠، ١٨١ .

(٤) تفسير التحرير والتنوير ١٥/٢٣٤ .

وقوله عز وجل: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ كرر ذكر الخرور للأذقان لاختلاف السبب ، فإن الأول : لتعظيم الله سبحانه وتنزيهه . والثاني : للبكاء بتأثير مواعظ القرآن في قلوبهم ومزيد خشوعهم ، ولهذا قال : ﴿ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ أي سماع القرآن ﴿ خُشُوعًا ﴾ أي لين قلب ورطوبة عين [(١)].

روى الدارمي والطبري عن أبي محمد عبد الأعلى التميمي قال : إن من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه؛ لأن الله نعت العلماء فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾، الآيتين [(٢)].

وقال القرطبي عند قوله تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم . وحق لكل من توسّم بالعلم وحصّل منه شيئا أن يجري إلى هذه المرتبة، فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل [(٣)].

والحكمة من السجود هنا – والله أعلم – اقتداء بأولئك الساجدين، بحيث لا يذكر المسلم سجود أهل الكتاب عند سماع

---

(١) فتح القدير ٣/٢٦٤ .

(٢) سنن الدارمي ، المقدمة باب من قال : العلم الخشية وتقوى الله ١٠/٨٨ . وتفسير الطبري ١٥/١٨١، ١٨٢ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٤١ .

القرآن إلا وهو أولى بالسجود عند تلاوة القرآن [١].

المبحث الخامس : قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [٢].

صلة الآية بما قبلها : لما ذكر الله عز وجل الأنبياء في هذه السورة وعددهم عشرة أولهم زكريا وآخرهم إدريس عليهم السلام جميعا، وأثنى على كل واحد منهم بما يخصه من الثناء، ثم جمعهم آخرا [٣]، فقال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ فاسم الإشارة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ يشير إلى المذكورين في السورة الكريمة [٤]، وما فيه من معنى البعد للإشارة بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل [٥].

وأنعم الله عليهم بنعمة لا تلحق، ومنة لا تسبق، من النبوة والرسالة .

وقوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير ٢٣٥/١٥ .

(٢) سورة مريم، الآية ٥٨ .

(٣) انظر التفسير الكبير ٢٣٣/٢١ ، والتفسير الواضح ، للدكتور حجازي ١٢/٢ .

(٤) ذكر ابن كثير أن المراد بهذه الآية جنس الأنبياء ، وليست مخصوصة بما تقدم ذكرهم . تفسير القرآن العظيم ٢٣٧/٥ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٢٧١/٥ ، وروح المعاني ١٠٧/١٦ .

نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ ومن في قوله **﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾** للبيان؛ لأن جميع الأنبياء منعم عليهم، و **﴿مِّنَ﴾** الثانية للتبعيض، وكان إدريس من ذرية آدم، لقربه منه [(١)].

قال السدي في قوله : **﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾** قال: هذه تسمية الأنبياء الذين ذكرهم . أما من ذرية آدم: فإدريس ونوح، وأما من حمل مع نوح: فإبراهيم، وأما ذرية إبراهيم: فإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب. وأما ذرية إسرائيل[(٢)]: فموسى وهارون وزكريا، ويحيى وعيسى [(٣)].

وقوله تعالى : **﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾** أي وهم من جملة من هديناهم للحق والدين الصحيح، واجتبيناهم[(٤)] واصطفيناهم للنبوة والكرامة [(٥)].

---

(١) انظر : البحر المحيط ٢٧٦/٧ ، ٢٧٧. وتفسير القرآن العظيم ٢٣٧/٥ . وأضواء البيان ٣٠٥/٤ .

(٢) إسرائيل هو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام . انظر مسند أبي داود الطيالسي ٣٥٦، ٣٥٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم ١٤١/١، وتفسير القرآن العظيم ١١٧/١ .

(٣) الدر المنثور، للسيوطي ٥٢٥/٥ .

(٤) قال الراغب : واجتباء الله العبد: تخصيصه إياه بفيض إلهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء . مفردات ألفاظ القرآن ١٨٦ .

(٥) انظر : تفسير أبي السعود ٢٧١/٥ .

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ .

تتلى عليهم أي على هؤلاء الأنبياء ، فبين تعالى أنهم من نعم الله عليهم قد بلغوا الحد الذي عند تلاوة آيات الله عز وجل يخرون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وحذرا وخوفا. والمراد بآيات الله ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم [١].[٢]وفي إضافة الآيات إلى اسمه: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ دلالة على أن آياته من رحمته بعباده، وإحسانه إليهم حيث هداهم بها إلى الحق، وبصرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلمهم من الجهالة [٣].

والبكي: جمع باك [٤]؛ ولهذا ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قرأ سورة مريم فسجد، ثم قال: هذا السجود فأين البكاء [٥]؟.

والحكمة من السجود – والله أعلم – اقتداء بأولئك الأنبياء عليهم السلام حيث سجدوا عند تلاوة آيات الله التي أنزلت

(١) انظر : التفسير الكبير ٢١/٢٣٤ .

(٢) عن عبد الله بن عباس أن المراد بآيات الرحمن : القرآن خاصة . قال الكيا الهراسي : ولو كان كذلك لما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مختصا بإنزاله عليه . أحكام القرآن ٣/٢٧٠ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ٥/١٢٠ .

(٤) انظر : تفسير الطبري ١٦/٩٨، وتفسير القرآن العظيم ٥/٢٣٨ .

(٥) تفسير الطبري ١٦/ ٩٨ ، والتفسير المأثور عن عمر بن الخطاب ٥٣٤ .

عليهم، ونحن نسجد اقتداء بهم عند تلاوة الآيات التي أنزلت إلينا، وأثنت على سجودهم قصدا للتشبه بهم [1].

المبحث السادس: قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾** ﴾[2] .

صلة الآية بما قبلها : لما ذكر الله عز وجل قوله: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾[3]، وقوله : ﴿ **وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ** ﴾[4] ذكر بعدها طوائف الناس من المؤمنين واليهود والصابئين والنصارى والمجوس والمشركين وأنه عز وجل يفصل بينهم، ثم ذكر بعد ذكر طوائف الناس سجود كل شيء في السموات والأرض لله عز وجل لا يخرج عن هذا السجود إلا من أهان الله ولم يرد هدايته وكتب عليه العذاب من طوائف الناس سابقة الذكر [5].

قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ** ﴾ الرؤية هنا هي الرؤية القلبية لا البصرية، أي ألم تعلم[6]، وسجود من في السماوات

(١) انظر : تفسير التحرير والتنوير ١٦/١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) سورة الحج، الآية ١٨ .

(٣) سورة الحج، الآية ١٤ .

(٤) سورة الحج، الآية ١٦ .

(٥) انظر : البحر المحيط ٧/٤٩٣ . وتفسير المراغي ١٧/١٠٠ .

(٦) انظر تفسير الطبري ١٧/١٣٠ ، وفتح القدير ٣/٤٤٣ .

ومن في الأرض لله هو سجود حقيقة وانقياد وطاعة، والدليل على أنه سجود حقيقة أن الله عز وجل وصف به كثير من الناس [(١)]، فلو كان السجود سجود الانقياد والتسخير لأمر الله الكوني فقط لكان كل الناس يسجدون لله عز وجل لأنهم كلهم مربوبون لله منقادون لمشيئته الكونية، وسجود هذه المخلوقات لله عز وجل نجهل نحن كيفيته، لكننا نؤمن به لإخبار ربنا عز وجل عنه، وفي التنزيل الحكيم: **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾** [(٢)]، وقال عز من قائل : **﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾** [(٣)] فإذا كنا لا نعلم كيفية صلاة وتسبيح هذه الأشياء فكذلك لا نعلم كيفية سجود من في السماوات ومن في الأرض لكننا نؤمن بهذا السجود وإن لم نعلم كيفيته .

وورد في صحيح السنة عن سجود الشمس ما رواه أبو ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوماً: ((**أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟**، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : **إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش ، فتخر ساجدة .**

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٧/١٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٥/٣٩٨ .

(٢) سورة النور، الآية ٤١ .

(٣) سورة الإسراء، الآية ٤٤ .

فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي. ارجعي من حيث جئت، فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها. ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة ...)) الحديث [١].

والذي يريد أن يعرف كنه كل شيء بعقله القاصر ، لا يمكن أن يستوعب فهم هذا الحديث وهو يعلم يقينا أن هذه الشمس إذا غربت في مكان فهي طالعة في مكان آخر، وهكذا هي. فكيف تسجد تحت العرش ؟

لكن المؤمن بقدرة الله على كل شيء وأن الله عز وجل خلق كل شيء وهداه إلى سنن ونواميس خاصة به لا تشاركه فيها كثير من المخلوقات ، يؤمن يقينا بسجود الشمس وغيرها من المخلوقات على الصفة الخاصة بها في علم الله – عز وجل - لكننا لا نعرف هذه الكيفية والصفة .

قال النووي : وأما سجود الشمس فهو بتميز وإدراك بخلق الله تعالى فيها [٢]. وقال ابن العربي : أنكر قوم سجودها وهو صحيح ممكن [٣]. وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر، إلا

---

(١) فتح الباري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر ٢٩٧/٦ . ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان ، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١٣٧/١ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٩٧/٢ .

(٣) فتح الباري ٢٩٩/٦ .

يقع لله ساجدا حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين [(١)].

قوله: ﴿ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ والذين في السماوات مما نعلم الملائكة ومن في الأرض عام في كل من في الأرض من العوالم التي نعرف والتي لا نعرف، ولا يشذ عن هذا العموم إلا من أشرك أو كفر من البشر أو الجن ممن حق عليهم العذاب، وأراد الله له الهوان .

قوله : ﴿ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ والشمس والقمر والنجوم في السماء والجبال والشجر والداوب في الأرض[(٢)]، وأفرد هذه المخلوقات بالذكر مع كونها داخلة تحت ﴿ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ لكونها من أكثر ما عبد من دون الله عز وجل مع أنها مربوبة خاضعة ساجدة لله [(٣)]. فالشمس عبدتها حمير ، وعبد القمر كنانة، وعبد بعض النجوم تميم ولخم وقريش وطي وأسد وغيرهم ، وعبد كثير من

(١) تفسير الطبري ١٧/١٣٠ ، والدر المنثور ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، ٦/١٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧/ ١٣٠ .

(٣) انظر : نظم الدرر ١٣/٢٦ .

المشركين الأصنام المنحوتة من الجبال والشجر[1]. وعُبدت البقرة وبعض الدواب كما يفعل الهندوس وغيرهم .

قوله: ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي وكثير من الناس يسجد لله طائعا مختارا متذللا لخالقه ومولاه عز وجل ، وهم المؤمنون بالله [2].

قوله : ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ معني بها من ترك السجود لله، أي حق عليهم العذاب بسبب عدم سجودهم وطاعتهم لله عز وجل ، وقد قضى الله في حكمه استحقاق المشرك لعذاب النار وبئس المصير [3].

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾؛ لأن من كفر بالله العظيم استحق العذاب المهين كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[4] وقوله : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[5]، ومن استحق العذاب المهين فهو مهان، ومن أهان الله فلن تجد من يكرمه وينصره من دون الله ﴿ وَلَمْ تَكُن

(١) انظر : البحر المحيط ٧/٤٩٤، وذكر ابن حيان أن الشعرى عبدتها لخم وقريش، والثريا طي ، وعطارد أسد ، والمرزم ربيعة . هذه بعض ما عبد من النجوم والكواكب .

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٧/١٣٠ .

(٣) انظر التحرير والتنوير ١٧/٢٢٧ .

(٤) سورة آل عمران، الآية ١٧٨ .

(٥) سورة النساء، الآية ٣٧ .

﴿لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾[1].

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ أي أن الله يفعل في خلقه ما يشاء من مثل إهانة من أراد إهانته، وإكرام من أراد كرامته؛ لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، والحكم حكمه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2][3]. نسأل الله عز وجل أن يكرمنا بمنه وفضله ورحمته .

والحكمة من السجود هنا – والله أعلم – طاعة لله عز وجل وتأسيا بأكرم خلق الله ، ومخالفة لمن أراد الله لهم الهوان بإعراضهم عن السجود لله فاستحقوا العذاب المهين ، جزاء فعلهم المشين .

المبحث السابع: قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾[4].

صلة الآية بما قبلها : لما ذكر سبحانه ضعف من عُبد من دون الله، وأن الله هو القوي العزيز[5]، والإله الحق الذي له الملك والأمر، ومن أمره إرسال الرسل إلى خلقه ليبينوا لهم طريق العبادة

---

(١) سورة الكهف، الآيتان ٤٣، ٤٤ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٣ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٧/١٣١ .

(٤) سورة الحج، الآية ٧٧ .

(٥) كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ﴾ الآيات، ٧٣-٧٦ .

وسبيل الفلاح [١].

قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴾ أمر بإقامة الصلاة المفروضة، والركوع والسجود خصَّهما هنا؛ لأنهما أعظم أركان الصلاة وفيهما كمال الخضوع والعبودية لله [٢].

قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ بخضوعكم له وطاعة أوامره[٣].

قال الراغب : العبودية : إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل. ولا يستحقها إلا من لـه غاية الإفضال، وهو الله تعالى [٤].

قوله تعالى: ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ ﴾ أمر بإسداء الخير إلى الناس[٥]، قال أبو حيان : ﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ ﴾ قال ابن عباس : صلة الأرحام ومكارم الأخلاق. ويظهر في هذا الترتيب أنهم أمروا أولاً بالصلاة، وهو نوع من العبادة، وثانيا بالعبادة وهي نوع من فعل الخير، وثالثا بفعل الخير وهو أعم من العبادة، فبدأ بخاص ثم بعام ثم بأعم [٦].

قوله: ﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ أي إذا فعلتم هذه كلها رجوتم الفلاح [٧]، وهو الظفر وإدراك البغية في الدنيا والآخرة [٨].

---

(١) انظر : البحر المحيط ٥٣٩/٧ ، ونظم الدرر ٩٩/١٣ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٩٨/١٢ ، والتحرير والتنوير ٣٤٦/١٧ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٢٠٤/١٧ .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٥٤٢ .

(٥) انظر : التحرير والتنوير ٣٤٦/١٧ .

(٦) انظر : البحر المحيط ٥٣٩/٧ .

(٧) انظر : فتح القدير ٤٧٠/٣ .

(٨) انظر : مفردات ألفاظ القرآن ٦٤٤ .

قال أبو القاسم الأنصاري : لعل كلمة للترجية ، فإن الإنسان قلما يخلو في أداء الفريضة من تقصير، وليس هو على يقين من أن الذي أتى به هل هو مقبول عند الله تعالى، والعواقب أيضا مستورة [١].

وأما ما يستلزمه الرجاء من تردد الراجي في حصول المرجو فذلك لا يخطر بالبال لقيام الأدلة التي تُحيل الشك على الله تعالى [٢].

والسجود المذكور في هذه الآية هو سجود الصلاة لا سجود التلاوة ، ومع ذلك يشرع سجود التلاوة هنا لما ورد في الأحاديث والآثار ، من ذلك ما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين ؟ قال : ((**نعم . فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما**)) [٣]. وعن أبي الجهم أن عمر سجد سجدتين في الحج، وهو بالجابية ، وقال : إن هذه فضلت بسجدتين [٤].

قال ابن القيم : فإرادة سجود الصلاة بآية السجدة لا تمنع من كونها سجدة، بل تؤكدها وتقويها. يوضحه أن مواضع السجدات في القرآن نوعان : إخبار، وأمر. فالإخبار خبر من الله تعالى عن

---

(١) التفسير الكبير ٢٣/٧٢،٧١ .

(٢) التحرير والتنوير ١٧/٣٤٦.

(٣) مسند الإمام أحمد ٤/١٥١ ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب تفريع أبواب السجود ، وكم سجدة في القرآن ٢/١٢٠ ، ١٢١ .

(٤) انظر : السنن الكبرى ، للبيهقي ٢/٣١٧ ، وتفسير ابن كثير ٥/٤٠٠ . وقال ابن كثير رحمه الله : فهذه شواهد يشد بعضها بعضا .

سجود مخلوقاته لـه عموما أو خصوصا، فسن للتالي والسامع وجوبا أو استحبابا أن يتشبه بهم عند تلاوة آية السجدة أو سماعها . وآيات الأوامر بطريق الأولى . وهذا لا فرق فيه بين أمر وأمر ، فكيف يكون الأمر بقوله : ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴾ مقتضيا للسجود دون الأمربقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ ﴾ فالساجد إما متشبه بمن أخبر عنه، أو ممتثل لما أمر بـه، وعلى التقديرين يُسن له السجود في آخر الحج كما يسن له السجود في أولها، فلما سوت السنة بينهما سوىالقياس الصحيح والاعتبار الحق بينهما، وهذا السجود شرعه الله ورسوله عبودية عند تلاوة هذه الآيات واستماعها، وقربة إليه، وخضوعاً لعظمته، وتذللاً بين يديه، واقتران الركوع ببعض آياته مما يؤكد ذلك ويقويه لا يضعفه ويوهيه . والله المستعان [1].

المبحث الثامن : قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠) ﴾ [2].

صلة الآية بما قبلها : لما ذكر بعض صفاته العظيمة من الحياة والخلق وغيرهما ختم ذلك بقوله : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ ثم أمر تبارك وتعالى بالسجود والخضوع والإذعان له وحده لا

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢/٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(٢) سورة الفرقان، الآية ٦٠ .

شريك له .

قوله تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي إذا قيل للمشركين الذين يعبدون ويخضعون لغير الله[١] ﴿ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ أي اعبدوا الله واخضعوا له وحده لا شريك له ، وعبر بالسجود عن العبادة لأنه رمز الخضوع والتذلل ومن سجد فقد عبد [٢].

قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ منكرين له[٣]، قال الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل : **أحدها** : أن العرب لم تكن تعرف الرحمن في أسماء الله تعالى، وكان مأخوذا من الكتاب، فلما دعوا إلى السجود لله تعالى بهذا الاسم سألوا عنه مسألة الجاهل به فقالوا: ﴿ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ .

الثاني : أن مسيلمة الكذاب كان يسمى الرحمن ، فلما سمعوا هذا الاسم في القرآن حسبوه مسيلمة ، فأنكروا ما دعوا إليه من السجود له .

والثالث : أن هذا قول قوم كانوا يجحدون التوحيد ، ولا يقرون بالله تعالى ، فلما أمروا أن يسجدوا للرحمن ازدادوا نفورا مع هواهم بما دعوا إليه من الإيمان [٤].

والأقرب من هذه الأقوال القول الثالث، لأن ادعاء أن العرب

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٢٩/٦ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٦٢/١٩ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٤/٧ .

(٤) انظر النكت والعيون ١٥٢/٤، ١٥٣ ، وانظر : التفسير الكبير ١٠٥/٢٣ .

لا تعرف اسم الرحمن غير مسلم به[1]، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ ﴾[3] .

وأما ذكر أن مسيلمة كان يسمى رحمن اليمامة، فهذا بعد ظهور الإسلام في مدة الردة [4].

قال الشيخ الشنقيطي: وقد قدمنا أيضا أنهم يعلمون أن الرحمن هو الله، وأن تجاهلهم له تجاهل عارف [5].

قوله تعالى: ﴿ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾، قرأ عامة قراء المدينة والبصرة بتاء المخاطبة بمعنى: أنسجد نحن يا محمد لما تأمرنا أنت أن نسجد له . وقرأ عامة قراء الكوفة بالياء [6]، أي أنسجد لما يأمرنا به محمد[7]. وهذا الاستفهام للإنكار والامتناع، أي لا نسجد لشيء تأمرنا بالسجود له [8].

قوله تعالى : ﴿ وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴾ قال ابن جرير الطبري:

---

(١) انظر النكت والعيون ٤/١٥٣ ، وأضواء البيان ٦/٣٤٥.
(٢) سورة الإسراء، الآية ١١٠ .
(٣) سورة الرحمن، الآيتان ١، ٢ .
(٤) انظر : التحرير والتنوير ١٩/٦٢.
(٥) أضواء البيان ٦/٣٤٥ .
(٦) انظر : تفسير الطبري ١٩/٢٨ ، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ٤٦٦.
(٧) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٣/٦٤.
(٨) انظر : التحرير والتنوير ١٩/٦٢ ، ٦٣.

وزاد هؤلاء المشركين قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن من إخلاص السجود لله، وإفراد الله بالعبادة بعدًا مما دعوا إليه من ذلك فرارا [١].

وفي قوله تعالى : ﴿ وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴾ دليل على أن هناك نفورا سابقا من الإيمان والإذعان قبل سماع اسم الرحمن [٢].

والحكمة من السجود هنا – والله أعلم – إظهار مخالفة المشركين إذ أبوا السجود للرحمن، وفي المخالفة للمشركين بالفعل مبالغة في المخالفة لهم [٣].

المبحث التاسع : قال تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ﴾ [٤].

صلة الآية بما قبلها : هذا من تتمة قول الهدهد لنبي الله سليمان عليه السلام عن حال قوم سبأ في عبادتهم الشمس من دون الله تعالى[٥]، كما قال تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً

---

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٢٩ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٦٣/١٩ .

(٣) انظر : التحرير والتنوير ٦٣/١٩ .

(٤) سورة النمل، الآيتان ٢٥، ٢٦ .

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٥١/١٩. وقيل: إنه ليس من كلام الهدهد بل هو كلام معترض بين كلام الهدهد وكلام سليمان عليه السلام. انظر: التحرير والتنوير ٢٥٤/١٩ .

﴿تَمْلِكُهُمْ﴾[1] الآيات .

قوله تعالى : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ قرأ أكثر القراء بالتشديد على معنى: وزيّن لهم الشيطان ألا يسجدوا، أي: فصدهم لئلا يسجدوا. وقرأ الكسائي وغيره ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ مخففة على معنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا، فيضمر هؤلاء [2].

قوله تعالى : ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الخبء: المستتر، وهو من خبأت الشيء: إذا أخفيته، والمخبوء في السموات والأرض مثل المطر والنبات والأقوات والأرزاق وغيرها [3].

قال ابن كثير : وهذا مناسب من كلام الهدهد الذي جعل الله فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره ، من أنه يرى الماء يجري في تخوم الأرض ودواخلها [4].

---

(١) سورة النمل، الآيتان ٢٢، ٢٣ .

(٢) انظر : معاني القرآن ٢/٢٩٠ ، وكتاب التبصرة في القراءات السبع لمكي بن أبي طالب ٦٢٠ ، وزاد المسير ٦/١٦٦ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ١٩/١٥٠ ، وتفسير أبي السعود ٥/٢٨٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦/١٩٨ . قال السيوطي : أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير ؟ قال : إن سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بعد الماء ، وكان الهدهد يدل سليمان على الماء ... الدر المنثور ٦/٣٤٨ ، ٣٤٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ أي يعلم ما يخفيه العباد ، وما يعلنونه من النيات والأقوال والأفعال وغيرها [١].

وهذا كقوله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [٢] وقوله : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [٣] .

وقال حكاية عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٤] .

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي : لا معبود بحق إلا الله عز وجل ، ولا تصلح العبادة إلا له [٥].

قال ابن رجب : وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد : لا إله إلا الله، يقتضي أن لا إله له غير الله، والإله هو الذي يطاع

---

(١) انظر : تفسير الطبري ١٩/١٥٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٦/١٩٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية ٧٧ .

(٣) سورة الأنعام، الآية ٣ .

(٤) سورة إبراهيم، الآية ٣٨ .

(٥) انظر : تفسير الطبري ١٩/١٥٠، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن حسن ١٨، ١٩ .

فلا يعصى هيبة له وإجلالا، ومحبة وخوفا ورجاء، وتوكلا عليه، وسؤالا منه ، ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل [1].

قوله تعالى: ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ في هذه الآية تعريض بأن عظمة عرش ملكة سبأ لا تقارب عظمة عرش الرحمن ولا تدانيها، ففرق بين عرش المخلوق وعرش الخالق، ومهما قيل عن عظمة عرش ملكة سبأ [2] فهو لا شيء بالنسبة لعرش الرحمن جل جلاله وتقدست أسماؤه[3]، قال تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[4]. قال ابن كثير : ولما كان الهدهد داعياً إلى الخير، وعبادة الله وحده والسجود له نهي عن قتله، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه [5]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب: النملة ، والنحلة ، والهدهد ، والصُّرَد[6].

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ٢٣ .
(٢) انظر : زاد المسير ١٦٥/٦ .
(٣) انظر : التحرير والتنوير ٢٥٥/١٩ .
(٤) سورة البقرة ، الآية : [٢٥٥] . وفي الأثر المرفوع : ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في تُرس ـ .. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض** ـ . فتح المجيد ٦٢١ .
(٥) انظر: المسند ٣٣٢/١. وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في قتل الذر ٥/ ٤١٧. وسنن ابن ماجه، كتاب الصيد، باب ما ينهى عن قتله. صحيح سنن ابن ماجه ٢١٧/٢ .
(٦) الصرد: طائر ضخم الرأس والمنقار، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢١/٣.

وإسناده صحيح [١].

والسجود هنا مشروع على كلا القراءتين فهي إما أمر بالسجود على قراءة التخفيف ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾، أو ذم للتارك على قراءة التشديد ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ [٢].

المبحث العاشر: قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾** ﴾ [٣].

صلة الآية بما قبلها : لما ذكر الله عز وجل الكافرين بآياته وما أعد لهم من العذاب كما في قوله : ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾** ﴾...الآيات [٤]،ذكر المؤمنين بها، ووصفهم، وما أعد الله لهم من الثواب [٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/١٩٨ .

(٢) انظر : الكشاف ٣/١٤٠ .

(٣) سورة السجدة، قال السيوطي: وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزلت هذه الآية في شأن الصلوات الخمس . الدر المنثور ٦/٥٤٥ .

(٤) سورة السجدة، الآيات ١٢-١٤ .

(٥) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٦/١٨٣ ، وذكر أبو السعود في تفسيره صلة أخرى حيث طلبوا الرجعة بقولهم ﴿ **فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا** ﴾ فذكر الله عدم استحقاقهم لإيتاء الهدى والإيمان ولو رجعوا أخرى ؛ لأن الإيمان مقصور على أهله الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا** ﴾ . انظر : إرشاد العقل السليم ٧/٨٤ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا ﴾ قصرت الآية المؤمنين بآيات الله حقا من اتصف بما ذكرته من خصال ثلاث: الأولى: الخرور سجدا إذا ذكروا بآيات الله . الثانية: التسبيح بحمد الله. الثالثة: عدم الاستكبار. والتذكير بآيات الله بإعادة ذكرها عليهم وتكرار تلاوتها على مسامعهم [(١)].

قوله تعالى: ﴿ خَرُّواْ سُجَّدًا ﴾ سبق معنى الخرور وهو السقوط الذي يسمع منه صوت كما في قوله تعالى: ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾[(٢)]، وهو تعبير عن الطاعة لله عزوجل، والتذلل لعظمته، وإقرار بالعبودية له[(٣)].

قوله تعالى : ﴿ وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ سبق معنى التسبيح عند قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُونَهُۥ ﴾[(٤)]. والحمد لله تعالى ، قال

---

(١) انظر : تفسير التحرير والتنوير ٢٢٧/٢١ .

(٢) سورة الإسراء، الآية ١٠٧ .

(٣) انظر : تفسير الطبري ٩٩/٢١. وقال سليمان الجمل : قوله : ﴿ خَرُّواْ سُجَّدًا ﴾ فإن السجود لا يشرع لتلاوة القرآن إلا إذا كان فيه آية سجدة من آيات السجود المعروفة، وإن كان المراد به خصوص آيات السجدات أشكل قوله: ﴿ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا ﴾ مع تفسير التذكير بالوعظ كما ذكروا، ووجه الإشكال أن أكثر آيات السجدات بل كلها ليس فيها وعظ أي تخويف وتذكير بالعواقب إذ هذا حقيقة الوعظ بل غالبها يرجع لمدح الساجدين تصريحا وذم غيرهم تلويحا... إلى أن قال: فليتأمل، فلم نر من المفسرين من بين هذا ولا من تعرض لـه. الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين ٤١٧/٣ .

(٤) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦ .

الراغب: الثناء عليه بالفضيلة. وقال الشيخ: ابن عثيمين: وقوله تبارك وتعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾[(١)] أي سبح الله مصحوباً بالحمد، فالباء هنا للمصاحبة، وذلك لأنه إذا كان التسبيح مصحوباً بالحمد فإنه به يتحقق الكمال؛ لأن الكمال لا يتحقق إلا بانتفاء العيوب، وثبوت صفات الكمال، فانتفاء العيوب مأخوذ من قوله: سبحانك؛ لأن التسبيح معناه التنزيه عن كل نقص وعيب، وثبوت الكمال مأخوذ من قوله: وبحمدك؛ لأن الحمد هو وصف المحمود بالصفات الكاملة، وليس هو الثناء كما هو مشهور عند كثير من العلماء، وبعضهم يقول : بالجميل الاختياري وما أشبه ذلك ، والدليل على ذلك الحديث القدسي، حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **إن الله قال** : ((**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين – يعني الفاتحة – فإذا قال : الحمد لله رب العالمين، قال : حمدني عبدي . فإذا قال : الرحمن الرحيم . قال : أثنى علي عبدي...**))[(٢)] ففرق بين الحمد والثناء . والمهم أن الإنسان إذا جمع بين التسبيح والحمد فقد جمع بين إثبات الكمال لله ونفي النقائص عنه [(٣)].

---

(١) سورة النصر، الآية ٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان ، صحيح مسلم ١/٢٩٦ .

(٣) شرح رياض الصالحين ٣/١٧٥، ١٧٦ .

قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ وهذه هي الخصلة الثالثة للمؤمنين بآيات الله، وهي عدم الاستكبار، وقد سبق معنى الكبر والكلام عليه عند قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾[1].

المبحث الحادي عشر : قال تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

صلة الآية بما قبلها: هذه الآية جزء من قصة نبي الله داود – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم – إذ تسور عليه خصمان محل عبادته ليحكم بينهما وهي قصة واضحة لا تحتاج إلى بيان ، قال تعالى: ﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ ﴾[3]الآيات .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ ﴾

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٦ .

(٢) سورة ص، الآية ٢٤ .

(٣) سورة ص، الآيات ٢١-٢٤ .

هذا حكم نبي الله داود – عليه السلام – في هذه الحادثة، فصاحب النعاج الكثيرة ظلم أخاه الذي لا يملك إلا نعجة واحدة ، ظلمه بسؤال ضم نعجته إلى نعاجه .

والظلم : هو وضع الشيء في غير موضعه ، وهو من الجور ومجاوزة الحد [١].

النعجة : هي الأنثى من الضأن والظباء والبقر الوحشي، والجمع : نِعَاج ونَعَجَات [٢].

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ هذا الكلام من نبي الله داود عليه السلام أراد به الموعظة لهما بعد القضاء بينهما على عادة أهل الخير في انتهاز الفرص المناسبة للوعظ ، فأراد داود – عليه السلام – أن يرغبهما في إيثار عادة الخلطاء الصالحين، وأن يكرّه إليهما الظلم والاعتداء [٣].

قال الراغب : ويقال للصديق والمجاور والشريك : خليط [٤].

وقال ابن جرير : وفي ﴿ مَّا ﴾ التي في قوله : ﴿ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾

(١) انظر : لسان العرب ٤/٢٧٥٦ مادة : ظلم .
(٢) انظر : لسان العرب ٦/٤٤٧١ مادة نعج .
(٣) انظر : البحر المحيط ٩/١٥٠ . وتفسير التحرير والتنوير ٢٣/٢٣٦ .
(٤) مفردات ألفاظ القرآن ٢٩٣ .

وجهان : أحدهما : أن تكون صلة بمعنى: وقليل هم، فيكون إثباتها وإخراجها من الكلام لا يفسد الكلام . والآخر : أن تكون إسما، وهم صلة لها، بمعنى : وقليل ما تجدهم [١].

قوله تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ ﴾ أي علم داود أنما فتناه[٢]، وقد اختلف المفسرون في الفتنة التي ابتلي بها نبي الله - عليه السلام - على أقوال منها :

أولا : ما ذكره بعض المفسرين عن بني إسرائيل من نظر نبي الله داود إلى زوجة أحد بني إسرائيل وتقديمه في الحروب ليقتل ويتزوج زوجته ، في كلام كثير واختلافات متعددة [٣].

قال الشنقيطي رادا لهذا القول : واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة ، مما لا يليق بمنصب داود - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام — كله راجع إلى الإسرائيليات، فلا ثقة به ولا معوّل عليه، ما جاء منه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح منه شيء [٤].

ثانيا : ذكر أبو حيان أنه فزع منهم ظانا أنهم يغتالونه، إذ كان

---

(١) تفسير الطبري ١٤٥/٢٣.

(٢) انظر : تفسير الطبري ١٤٥/٢٣ ، ١٤٦ . والبحر المحيط ١٥٠/٩ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/٨، ١٦٧ ، والدر المنثور ١٥٥/٧-١٦٠ .

(٤) أضواء البيان ٢٤/٧ .

منفردا في محرابه لعبادة ربه ، فلما اتضح له أنهم جاءوا في حكومة ، وبرز منهم اثنان للتحاكم ، كما قص الله تعالى ، وأن داود – عليه السلام – ظن دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنفاذ من الله له أن يغتالوه ، فلم يقع ما كان ظنه ، فاستغفر من ذلك الظن [١].

ثالثا : من المفسرين من توقف ، ووكل علم الفتنة التي فتن بها داود إلى الله عز وجل . قال ابن كثير : فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يُرد علمها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حق ، وما تضمن فهو حق أيضا [٢].

رابعا : أن الفتنة التي فتن بها داود تتعلق بالحكم بين الناس حيث حكم قبل أن يسمع كلام الآخر[٣]، كما قص القرآن الكريم ذلك، أو أنه اعتزل الناس، وهو الحاكم والناس محتاجون له، أو أنه حكم في حال الفزع، وكلها آداب تتعلق بالحكم بين الناس ونصت عليها الآيات من مثل قوله تعالى : ﴿ **إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾** ﴾ [٤] وإن في التعقيب على

(١) البحر المحيط ١٥١/٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥١/٧ .

(٣) انظر : فتح القدير ٤٢٧/٤ ، وفي ظلال القرآن ٣٠١٨/٥ .

(٤) سورة ص، الآية ٢٢ .

هذه القصة ما يشعر بقوة هذا القول حيث يقول تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾[1] الآية[2].

قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴾ وهذه سُـنة الأنبياء وصفة الأولياء في كثرة الاستغفار والإنابة إلى العزيز الغفار. قال سبحانه حكاية عن آدم وحواء عليهما السلام: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

وقال تعالى عن إبراهيم – عليه السلام – : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[4]

وقال سبحانه عن موسى – عليه السلام – : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمۡتُ نَفۡسِى فَٱغۡفِرۡ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾[5]

وقال تعالى لمحمد عليه الصلاة والسلام : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾[6].

(١) سورة ص، الآية ٢٦ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن ٥/٣٠١٨ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ٢٣ .

(٤) سورة الشعراء، الآية ٨٢ .

(٥) سورة القصص، الآية ١٦ .

(٦) سورة محمد، الآية ١٩ .

قوله تعالى : ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا ﴾ قال ابن العربي : لا خلاف بين العلماء أن الركوع هاهنا السجود؛ لأنه أخوه إذ كل ركوع سجود، وكل سجود ركوع، فإن السجود هو الميل، والركوع هو الانحناء، وأحدهما يدل على الآخر، فسمى السجود ركوعا[(١)]. ويؤيد أن الركوع هنا هو السجود لفظ الخرور [(٢)].

والإنابة إلى الله تعالى: الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل[(٣)].

وفي السجود هاهنا اقتداء بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث سجد هنا مقتديا بداود - عليه السلام - أخرج البخاري عن العوام بن حوشب قال : سألت مجاهدا عن سجدة ص . فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت ؟ فقال : أو ما تقرأ: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾ [(٤)] فكان داود ممن أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بـه، فسجدها داود فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٥)].

---

(١) أحكام القرآن ١٦٣٩/٤ ، ١٦٤٠ .

(٢) انظر : فتاوى ابن تيمية ١٥١/٢٣ .

(٣) انظر : مفردات ألفاظ القرآن ٨٢٧ .

(٤) سورة الأنعام، الآيات ٨٤-٩٠ .

(٥) فتح الباري ٥٤٤/٨ .

المبحث الثاني عشر: قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾[(١)].

صلة الآية بما قبلها : لما ذكر الله عز وجل أن أحسن الأعمال والأقوال هو الدعوة إليه سبحانه ، وذكر موقف الداعية من أعدائه من الإنس أو الجن ذكر سبحانه الآيات الدالة على وحدانيته وأنه المستحق للعبادة دون من سواه، وفي هذا توجيه للداعية في دعوته إلى الله جل جلاله وتقدست أسماؤه [(٢)].

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ﴾[(٣)] الآيات .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ ﴾

---

(١) سورة فصلت، الآيتان ٣٧، ٣٨ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ١٢٨/٢٧ ، والبحر المحيط ٣٠٧/٩ .

(٣) سورة فصلت، الآيات ٣٣-٣٧ .

أي من آيات الله الدالة على وحدانيته وعظيم سلطانه واستحقاقه للعبادة دون من سواه : الليل والنهار والشمس والقمر لظهورهما لكل أحد، وعظيم خلقهما وانتفاع الناس بهما أيما انتفاع، وبتعاقبهما تعرف الأيام والشهور والأعوام، ويتبين بذلك حلول الحقوق، وأوقات العبادات والمعاملات(١)، وذكر الليل قبل النهار لأنه الأصل السابق وهو الظلام، وقدم الشمس على القمر؛ لأن ضوء القمر مستمد من الشمس وهي الأكبر (٢).

قوله تعالى : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ لأنهما مخلوقان من مخلوقات الله فلا يصح أن يكونا شريكين له في ربوبيته (٣). وخص الشمس والقمر؛ لأنهما مما عُبدا من دون الله، ولأنهما الأصل في تعاقب الليل والنهار (٤).

قوله تعالى : ﴿ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ أي : اعبدوه وحده؛ لأنه الخالق العظيم، ودعوا عبادة ما سواه من المخلوقات، وإن كبر جرمها، وكثرت مصالحها، فإن ذلك ليس منها، وإنما هو من خالقها، تبارك وتعالى(٥). والضمير في قوله : ﴿ خَلَقَهُنَّ ﴾

---

(١) تفسير الطبري ١٢١/٢٤ ، وتفسير القرآن العظيم ١٧٠/٧ .

(٢) انظر : البحر المحيط ٣٠٧/٩ ، وروح المعاني ٢٤ /١٢٥ .

(٣) فتح القدير ٥١٨/٤ .

(٤) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن ٢٥٥/١٢ .

(٥) تيسير الكريم الرحمن ٥٧٩/٦ .

عائد على الآيات أي : خلق آياته [1].

وقيـل : عائد على الليل والنهار والشمس والقمر ؛ لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الإناث [2].

قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ قال ابن جرير : يقول : إن كنتم إياه تعبدون، وتذلون له بالطاعة، وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعكتم إياه وعبادتكموه شيئا سواه، فإن العبادة لا تصلح لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه [3] .

قوله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أي : فإن استكبر المشركون عن إفراد الله بالعبادة ، وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره [4]، ﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ مما نعلم الملائكة [5]، وعندية الملائكة عند ربهم عندية ارتفاع وعلو ، ومن لوازمها القرب والمكانة [6].

قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴾

---

(١) انظر : تفسير كتاب الله العزيز ٤/٨٤ .

(٢) انظر : الكشاف ٣/٣٩٢ .

(٣) تفسير الطبري ٢٤/١٢١ ، وذكر الرازي أن قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ لأن ناسا كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله، فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن لا يسجدوا إلا لله الذي خلق الأشياء. التفسير الكبير ٢٧/١٢٩ .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ٧/١٧٠ .

(٥) تفسير الطبري ٢٤/١٢١ .

(٦) سبق الكلام عن العندية في موضع السجدة في سورة الأعراف ، الآية ٢٠٦ .

وتسبيح الملائكة لربها عز وجل سبق الكلام عليه [١]، وفي التنزيل الحكيم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [٢].

قوله تعالى : ﴿ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه: لا يملون ولا يفترون[٣]. واختلف أهل العلم في موضع سجدة التلاوة: هل هو عند قوله تعالى : ﴿ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ أو عند قوله تعالى في الآية التي بعدها : ﴿ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴾ .

قال السيوطي : وأخرج ابن أبي شيبة والحاكم وصححه والبيهقي في سننه من طريق سعيد بن جبير رضي الله عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان يسجد بآخر الآيتين من ﴿ حمٓ ﴾ السجدة ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يسجد الأولى منهما [٤].

وقال القرطبي: واختلفوا في موضع السجود منها، فقال مالك: موضعه ﴿ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾؛ لأنه متصل بالأمر، وكان علي وابن مسعود وغيرهم يسجدون عند قوله : ﴿ تَعۡبُدُونَ ﴾ .

وقال ابن وهب والشافعي: موضعه ﴿ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴾؛ لأنه تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال . وبه قال أبو حنيفة . وكان

---

(١) انظر : موضع السجدة في سورة الأعراف ، الآية ٢٠٦ .

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٠ .

(٣) انظر : الدر المنثور ٧/٣٢٩ .

(٤) انظر : الدر المنثور ٧/٣٢٩ . وانظر : مصنف ابن أبي شيبة ٢/١٠ ، والمستدرك للحاكم وصححه هذا الأثر ووافقه الذهبي ٢/٤٤١، وسنن البيهقي الكبرى ٢/٣٢٦ .

ابن عباس يسجد عند قوله : ﴿ يَسْـَٔمُونَ ﴾ . وقال ابن عمر : اسجدوا بالآخرة منهما . وكذلك يروى عن مسروق وأبي عبد الرحمن السلمي ... إلى أن قال : قال ابن العربي : والأمر قريب [(١)].

المبحث الثالث عشر: قال تعالى: ﴿ فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ (٦٢) ﴾ [(٢)].

صلة الآية بما قبلها : لما وبّخ الله جل جلاله المشركين على الاستهزاء بالقرآن، والضحك عند سماعه، والسخرية به، والغفلة عنه وعدم الانتفاع به، أمر عباده المؤمنين بالسجود لله والعبادة له [(٣)].

فقال سبحانه : ﴿ **أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ (٦٢)** ﴾ [(٤)].

قوله تعالى: ﴿ **فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ** ﴾ الفاء جواب شرط محذوف، أي: إذا كان الأمر من الكفار كذلك، فاسجدوا لله واعبدوا، فإنه المستحق لذلك منكم [(٥)].

وللمفسرين ثلاثة أقوال في المخاطب بهذا الأمر :

الأول : أنه خطاب لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم [(٦)].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٦٤/٨ ، وانظر : كلام ابن العربي في أحكام القرآن ١٦٦٤/٤ .

(٢) سورة النجم، الآية ٦٢ .

(٣) انظر : فتح القدير ١١٨/٥ .

(٤) سورة النجم، الآيات ٥٩-٦٢ .

(٥) انظر : فتح القدير ١١٨/٥ .

(٦) انظر : تفسير الطبري ٨٤/٢٧ ، والتفسير الكبير ٢٧/٢٩ .

الثاني : أنه التفات لخطاب المؤمنين خاصة بأن لا يسلكوا طريق الكافرين بالاستهزاء والغفلة بل يعبدوا الله وحده [(١)].

الثالث : أنه خطاب للمشركين بأن يسلموا ، وكنّى بالسجود لأنه من الصلاة ، والصلاة شعار الإسلام [(٢)].

والأقرب - والله أعلم - أنه خطاب للمؤمنين لأنهم هم المنتفعون المطيعون لأمر ربهم ، ولذلك سجد الرسول صلى الله عليه وسلم عند هذه الآية وسجد أتباعه من بعده . وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم... »[(٣)] .

وفي تفسير النسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ النجم فسجد بهم [(٤)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم...[(٥)] .

---

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٧/٢٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٤٤٣/٧ .

(٢) انظر : تفسير التحرير والتنوير ١٦١/٢٧ .

(٣) وتتمة الحديث : ... وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ـ وحرر ابن رجب سجود غير المسلمين عند تفسير سورة الحج في كلام نفيس اختار فيه أن سبب سجود المشركين ما ألقاه الشيطان وتلاه . انظر : فتح الباري ٨ /٤٣٨ — ٤٤٠ .

(٤) تفسير النسائي ٣٦٢/٢ .

(٥) فتح الباري ٦١٤/٨ .

ثـم هـل المقصـود بهـذا السـجود : سـجود التلاوة أو سجود الصلاة فعن ابن مسعود أنه سجود التلاوة [1].

وعن مقاتل وابن جرير الطبري أنه سجود الفرض في الصلاة [2].

والأقـرب – والله أعلم – أن كلا القولين صحيح ، وكلاهما فيه خضوع وطاعة لله عز وجل [3].

قولـه تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ﴾ قال ابن جرير : وإياه فاعبدوا دون غيره، فإنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لـه، فأخلصوا لـه العبادة والسجود ولا تجعلوا لـه شريكا في عبادتكم إياه [4].

وفي قولــه تعـالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ﴾ عـدم ذكر لفظ الجلالة أو ما يشير إليه، إما لكونه معلوما، وإما لأن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله، لأن عبادة غير الله عز وجل ليست عبادة [5].

وقد نقل عن بعض السلف عدم السجود في المفصل[6] من القرآن [7]، والصحيح مشروعية السجود فيه لما ورد من فعل النبي

---

(١) انظر : زاد المسير ٨٦/٨ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٨٤/٢٧ . وزاد المسير ٨٦/٨ .

(٣) انظر : تفسير التحرير والتنوير ١٦١/٢٧ .

(٤) تفسير الطبري ٨٤/٢٧ .

(٥) انظر : التفسير الكبير ٢٧/٢٩ .

(٦) انظر الهامش رقم ١ ، ص ١١٢ .

(٧) انظر : مصنف ابن أبي شيبة ٦/٢ .

صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سجدنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ ﴾ و ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ [١] .

قال ابن العربي قال علماؤنا رضي الله عنهم : لم يختلف قول مالك أن سجدة النجم ليست من عزائم القرآن... إلى أن قال: وقال أبو حنيفة والشافعي: هي من عزائم السجود . وهو الصحيح [٢].

المبحث الرابع عشر : قال تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ ﴾ [٣] .

صلة الآية بما قبلها : لما أقسم الله عز وجل بالتغيرات والأحوال التي تحدث في بعض مخلوقاته في الكون مما يشاهده الناس من مثل حدوث الشفق الذي يسبقه النور ويعقبه الظلام، أو تمام القمر الذي تسبقه الولادة والزيادة ويعقبه النقص والأفول . وبعد القسم بهذه الأحوال المتغيرة في الكون أقسم سبحانه بتغير أحوال الخلق، وفي هذا دليل وتأكيد على صحة البعث والنشور، وصدق ما جاء به القرآن. وبعد هذه الأقسام منه سبحانه عقّب باستفهام

(١) صحيح مسلم ٤٠٦/١ .

(٢) أحكام القرآن ١٧٣٥/٤ .

(٣) سورة الانشقاق، الآيتان ٢٠، ٢١ .

إنكـاري عـن سـبب عـدم إيمـانهم وخضـوعهم ، مـع ظهور الآيات والدلائل (1).

قال تعالى : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ۝١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ ﴾ (2).

قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠ ﴾ يعني : أي شيء يمنعهم من الإيمان بالبعث أو القرآن أو محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما وضحت لهم الآيات، وقامت الدلالات وهو استفهام بمعنى الإنكار على المشركين عدم إيمانهم، وهذا إنما يحسن عند ظهور الحجة وزوال الشبهات، والأمر ههنا كذلك (3).

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ۝٢١ ﴾ أي: أيّ مانع يمنعهم حال قراءة القرآن عليهم من السجود والخضوع لله رب العالمين .

واختلف المفسرون بالمقصود بالسجود ههنا على أقوال :

فمـنهم مـن قـال : عـني بالسجود هنا الصلاة المفروضة ، روي

(1) التفسير الكبير ١١١/٣١ . وروح المعاني ٨٣/٣٠ .

(2) سورة الانشقاق، الآيات ١٦-٢٠ .

(3) انظر : تفسير الطبري ١٢٥/٣٠. التفسير الكبير ١١١/٣١ . زاد المسير ٦٨/٩. والجامع لأحكام القرآن ٢٨٠/١٩ .

ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وعطاء ومقاتل وغيرهم .

وقيل : بل المقصود بالسجود هنا الخضوع والاستسلام لله عز وجل، واختار هذا القول ابن جرير والقاضي أبو يعلى وغيرهما .

وقيل : المقصود بالسجود هنا هو سجود التلاوة المعروف ، وفي هذه الآية سجد النبي صلى الله عليه وسلم [١].

والصحيح أن كل الأقوال صحيح وهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، فمن صلى الصلاة المفروضة أو خضع لربه، أو سجد سجدة التلاوة فهو مطيع لله عابد لربه يبتغي رضوانه ويخاف من عقابه .

والحكمة من السجود هنا – والله أعلم- طاعة الله عز وجل وتأسٍ برسوله صلى الله عليه وسلم ومخالفة المشركين حيث لم يسجدوا عند سماع آيات الله تتلى عليهم ولم يخضعوا لربهم وخالقهم ، وفي المخالفة للمشركين بالفعل مبالغة في المخالفة لهم [٢].

الموضع الخامس عشر : قال تعالى : ﴿ **كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ⦗١٩⦘** ﴾ [٣].

صلة الآية بما قبلها : أخرج النسائي في تفسيره عن ابن عباس

(١) انظر هذه الأقوال في تفسير الطبري ١٢٥/٣٠، وزاد المسير ٦٨/٩ ، ٦٩، والجامع لأحكام القرآن ٢٨٠/١٩ ، وفتح القدير ٤٠٨/٥ .

(٢) انظر : التحرير والتنوير ٦٣/١٩ .

(٣) سورة العلق، الآية ١٩ .

رضي الله عنهما قال: صلى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا ؟ والله إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني . فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ قال ابن عباس : والله لو دعا ناديه لأخذته الزبانية [(١)].

قال تعالى في شأن أبي جهل مع النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ [(٢)].

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ ﴾ وكلا: ردع لإبطال ما تضمنه قوله: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ أي : وليس بفاعل، وهذا تأكيد للتحدي والتعجيز [(٣)].

﴿ لَا تُطِعْهُ ﴾ فيما دعاك إليه أبو جهل من ترك الصلاة [(٤)].

---

(١) تفسير النسائي ٥٣٥/٢ ، ٥٣٦ . وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٦٨/١ . والترمذي في جامعه : كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة اقرأ باسم ربك ٤٤٣/٥ ، ٤٤٤ . والواحدي في أسباب النزول ٢٥٧ . قال الهيثمي : في الصحيح بعضه . ورجال أحمد رجال الصحيح ١٣٩/٧ .

(٢) سورة العلق، الآيات ٩-١٩ .

(٣) تفسير التحرير والتنوير ٤٥٢/٣٠ .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢٨/٢٠ .

قوله تعالى: ﴿ **وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب** ﴾ والأقرب أن السجود المأمور به هنا هو سجود الصلاة لقوله: ﴿ **أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝** ﴾(١).

﴿ **وَٱقْتَرِب** ﴾ أي : واجتهد يا محمد في القرب إلى الله بالصلاة(٢)، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**)) (٣).

وعن ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في جواب عن أحب الأعمال إلى الله : ((**عليك بكثرة السجود لله، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة**)) (٤).

وأمر صلى الله عليه وسلم بالسجود لأنه غاية العبودية والذل لله عزوجل، قال القرطبي : قال علماؤنا : وإنما كان ذلك لأنها نهاية العبودية والذل، ولله غاية العزة ، وله العزة التي لا مقدار لها... إلى

(١) انظر : التفسير الكبير ٢٦/٣٢ ، والجامع لأحكام القرآن ١٢٨/٢٠ ، وفتح القدير ٤٧٠/٥ .

(٢) انظر : تفسير التحرير والتنوير ٤٥٢/٣٠ .

(٣) صحيح مسلم . كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٠/١ .

(٤) صحيح مسلم . كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه ٣٥٣/١ .

أن قال : ولقد أحسن من قال :

وإذا تذللت الرقاب تواضعًا   منا إليك فَعِزُّها في ذلها [1]

وقيل : ﴿ وَٱقْتَرِب ﴾ أي : واقترب يا أبا جهل من النار. والأول أولى [2].

وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱقْتَرِب ﴾ تشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيصه بالقرب من الله عز وجل [3].

والحكمة من السجود هنا – والله أعلم – التأسي برسول الهدى صلى الله عليه وسلم حيث سجد في هذه السورة، وسجد معه أصحابه رضي الله عنهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ ﴾ و ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾ [4].

الخاتمة

وبعد هذه الوقفات مع أحكام سجدات القرآن وتوجيهاتها نستعرض في ختام المطاف أبرز النتائج والفوائد منها :

١- السجود لله – عز وجل – من أشرف العبادات ، وأجل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٢٨/٢٠ .

(٢) انظر : التفسير الكبير ٢٦/٣٢ ، وفتح القدير ٤٧٠/٥ .

(٣) انظر التفسير الكبير ١١٨/٣٢ ، وأسرار ترتيب القرآن ، للسيوطي ١٦٣ .

(٤) صحيح مسلم . كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب سجود التلاوة ٤٠٦/١ .

الطاعـات ، وأقصـى علامـات التذلل لفاطر الأرض والسموات ، بل أقرب ما يكون العبد الضعيف من الخالق العظيم حال السجود .

٢- سـجدات القـرآن الـتحقيق أنهـا خمسة عشر موضعا من كتاب الله - عز وجل - كما سبق .

٣- سجود التلاوة ليس صلاة ولا يشترط له ما يشترط للصلاة مـن الطهـارة والقبـلة وغيرهمـا لعـدم ورود خـبر بذلـك ، والأصـل في العبادات التوقيف .

٤- ثـبت مـن أذكار السجود ذكران هما : ((سجد وجهي لـلذي خـلقه وشـق سمعـه وبصـره بحولــه وقوته ، فتبارك الله أحسن الخـالقين)) . و ((الـلهـم اكـتب لي بها عندك أجرا ، وضع عني بها وزرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود)) .

٥- آيـات السـجود في القـرآن عـلى أقسـام فهـي : إمـا أمر بالسجود لله عز وجل، أو وصف لحال عباد الله الخاشعين الساجدين لله عـز وجـل، أو ذكـر للمعرضـين عـن السـجود لله جـل جلالـه وتقدست أسماؤه .

٦- أشـرف خـلق الله عـز وجـل من الملائكة العظام والرسل الكـرام والأوليـاء والصالحين لا يستكبرون عن السجود لله عز وجل

والإذعان لعظمته والتقرب لرحمته .

٧- السجود لا يجوز أن يصرف إلا لله وحده لا شريك له، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل ولا لخلق من خلقه قال تعالى : ﴿ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۝٣٧ ﴾[١].

(١) سورة فصلت، الآية ٣٧ .